نفحات الأدب

بين وطن يتردّى وغربة تتبدّى

الدكتور

الوليد آدم مادبو

www.waleedmadibo.com



فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر- السودان
٨١١,٩٦٢٤٠٨٤ الوليد آدم مادبو
و.أ.م
نفحات الدرت (شعر)/ الوليد آدم مادبو
الخرطوم: مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، ٢٠١٧
٥٢ ص، ٢٤ سم.
ردمك ٠-١١-٦٣-٩٩٩٤٢-٩٧٨
١. الشعر الشعبي السوداني ٢.الشعر النبطي السوداني
أ. العنوان

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف
ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو قسم
من أقسامه بأي شكل من الأشكال إلا بإذن كتابي



تصميم وإخراج
رمضان سعيد



مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي

الفهـرس

الإهـــــداء

إلى حمدة في عليائها

المقدمة

بأسلوبها السهل المباشر وبجرأتها في إطلاق الأحكام في تقريرية كاملة - على غرار نبوءات العرافين وحكم المتصوفة - صفعتني النفحات بشدة أوان اطلاعي على أولى حلقاتها منشورة في أحد المواقع الإسفيرية، ممهورة بتوقيع الدكتور الوليد مادبو، الذي تتلبسني حالة من الاستعداد والتحفز الذهني، كلما وقعت عيني على شيء مما يخطه قلمه شديد الرشاقة والعمق. وما إن توغلت قليلا في النص، حتى بدأت أشعر بأن الأسلوب بل والمضمون نفسه، ليسا في الواقع كلما هنالك. ذلك أنني سرعان ما فطنت إلى أن سطور النفحات تحمل في ثناياها خط استفزاز آخر للقارئ، مصدره غرابة هويتها - إن صح التعبير - كنص كتابي ينتصب في جرأة خارج قائمة التصنيفات المتعارف عليها للكتابة. فكما هو الحال مع اسمها "نفحات الدرت" الذي خاوى في رشاقة بين الروحي والمادي، تموضعت النفحات في منزلة بين المنزلتين، المقالة المباشرة والتعبير الإبداعي المحض المستند للخيال. وكما يلاحقك هاجس بعيد تحسه لدقته أول الأمر وكأنه في رأس جارك، لاحقني بموازاة انشغالي بمضامين النفحات على امتداد حلقاتها، هاجس تحديد هويتها كنص مكتوب، ووضع حد للمراوغة الشفيفة التي ظلت تمارسها أمام محاولاتي

اليائسة لإخضاعها لسلطة التصنيف. وقد جربت في سياق تلك المحاولات الاستهداء بشق من الاسم "نفحات" لرد هذا الضرب من الكتابة إلى التراث الصوفي، حيث مواقف النفري وحكم ابن عطاء الله، لكن طبيعة الموضوعات التي تتناولها النفحات سرعان ما نسفت لدي هذا الاتجاه، قبل أن أنتبه ثانية إلى أن العنوان نفسه يحيل في الواقع إلى نقيض ما أردت. فالدرت هنا مربوط بالنفحات لكي لا يتحول إلى خصب مادي لا روح فيه، والنفحات مشدودة بدورها إلى الدرت حتى لا تستحيل دلالتها «دينا بلا عجين». ومع الانتقال من محاولة تصنيف فاشلة إلى أخرى، وبمرور الوقت وتتالي حلقات النفحات، زهدت في محاولة إنزال هذه النصوص في أحد قوالب التعبير الجاهزة، وأدركت أن المدخل الصحيح للتعرف على طبيعتها، لا يكون إلا بتأملها خارج سياق المصكوكات الناجزة. والحال هذه، فإن النفحات الآن عندي ليست سوى تداعي الذات المبدعة الملتزمة في صميمها بقضايا ومواقف، يحول حضورها الملح في نفس الكاتب، دون أن يجيء ذلك التداعي تهويما صرفا، متحررا من شروط الواقع وموضوعاته الماثلة. إنها ببساطة التجلي المجسد للتسوية المنجزة في سياق الحوار بين عذابات الذات المبدعة من ناحية، وقيود التزامها الاجتماعي شديد الغور والحضور في نفس كاتبها من الناحية الأخرى.

بيد أن المتأمل في النفحات لا يمكن أن يخطيء كذلك الشبه الواضح بينها وكاتبها، من حيث إنها محاولة لتجسير

الهوة بين عالمين، ليسا بالضرورة متناقضين، لكن بينهما بالتأكيد قدراً كبيراً من التباين.. فكاتب النفحات القادم من أسرة هي في صميم الزعامة الأهلية - هرم وسنام البناء القبلي التقليدي في غرب السودان - هو ذاته المثقف والأكاديمي الذي تأهل في أرقى مؤسسات التعليم الغربية الحديثة. وكما احتفظ الكاتب بوفائه دائماً لهذين البعدين المتباينين في تكوينه النفسي والفكري، جسرت النفحات بنجاح المسافة بين الكتابة الإبداعية التي تغرف من الخيال المحض، والكتابة المباشرة التي تعالج قضايا الواقع في أبعادها الموضوعية المحددة. وبهذا المعنى فإن النفحات - في تقديري - لا تمثل بالنسبة للكاتب معالجة واعية قصدية لموضوعاتها وقضاياها، بقدر ما أنها تعبير عفوي عن رؤاه النفسية التلقائية المحضة، وبالتالي عالية الصدقية والأصالة، لتلك القضايا والموضوعات. وبعد، فقد قدم الكاتب من خلال نصوص النفحات، درساً عملياً بليغاً في تمجيد قيمة الازدواج والثنائية، بوصفها سمة الموضوعية التي تحتفي بالنسبي وترفض الانحياز الغبي العاجز المريح، لأحد المكونات على حساب الأخرى. وإن النفحات لتمثل في هذا المستوى، إشارة بذاتها لرفض الأحادية وتغليب اللون الواحد، المنبع الأول لعلات واقعنا التي ما جاءت النفحات إلا للتعامل معها.

أمير صديق

مقامات الوليد

لعلّهُ الوليدُ أرادَ ليُلَطِّفَ على قارئيه بنفحاتٍ هي زفراتُهُ الحرّى: المُتَدَفِّقَةُ من صدرٍ ملؤهُ أَوغامُ صيفٍ طويلٍ، أودى بآماله في وطنٍ أكّلتْهُ الرزايا وتخطّفتْهُ البلايا، فبُدِّلَ أهلًا غيرَ آهليه، وأُسكنَ قومًا غيرَ ساكنيه، وضلّ عنهُ الخيرةُ من بنيه، فتقطّعوا أباديدَ في كلِ وادٍ وتيه. قالَ قائلُهم (البروفيسور محمد الواثق) - وقد (خنقتْهُ الغبينة):

أَكُلَّما قامَ فيهم نابهٌ فطنٌ
جمُّ المقالِ نبيلُ القلب مُبتَكِرُ
ضاقوا بهِمَّته واستدبرُوا جَزَعًا
صُمَّ القلوبِ وفي آذانهم وَقَرُ
أكُلَّما غَرَست كفِّي لهم غَرْسًا
كانوا الجرادَ فلا يُبقي ولا يَذَرُ
المُظهِرونَ - بياضَ الصُبحِ - خَشْيَتَهُم
والمُفسدونَ إذا ما صرّحَ القَمَرُ
يا بعضَ قومي سَئمتُ العيشَ بينَكُمُ
وفي الرحيلِ لنا من دونِكُم وطَرُ

أمّا غبينةُ الوليد، فقد استحالت نفحات تستدرُّ الخيرَ: خيرَ مَوْسم الثمَرات الحسان ومَوْسمٍ البركات. وأهلُ السودان أَهَلُ الوليد لمّا قالوا (الدّرَتْ)؛ عنَوْا بها مَوْسمَ حصاد الغلّة، لأنّهم يعلمونَ أنّ (الدَّرَّ) مجرّدةً عن التّاء، مَعْنيٌ بها حينَ إلبان البهائم لدُنْ أوّلُ الخريف في إقليم السودان! ولأنّ القولَ آت من هؤلاء ومنصرف إليهم، لم يجد الوليدُ بُدًا من استصحاب حكايتهم في تضاعيف حكايته، واستحضار روايتهم في تلافيف روايته - لا يكادُ يفصلُ بينَهُ وبينَهُم فاصل. إنّهُ قدرُ صاحب النّفحات (وإن شئت المقامات) ولا فكاك! ويا ليتَها لو تُبَرِّدُ النفحاتُ نفثات الوليد: لَفْحَهَا والسعيرَ ووهجهَا المستطير! لتُحيلَها سحائبَ تغشى البلادَ بطاحَها والنّيلا!!

الأمين كاكوم



لوحة للتشكيلي إسلام كامل علي

زرع الدسيسة وحصاد الهلاك

(١)

اصطرعا عَصراً
بعدَ أنْ اختلَيَا
فِي مناحِي الغُرورِ
انخفضَ بريقُ الحكمةِ
وجالَ وعدُ الخلودِ
عَلاَ ما دونَهُ واختالَ
ظلّ اللئيمُ يُناظرُ غَريمَهُ
فَإذَا شَفتاه قد تَحَرّكَتْ
بحنوِّ الكرامةِ
عاينَ مِن فَوقِ التلِّ
فإذَا «النّوبةُ» و «الصّلاحُ»
فِي عصرِ الشّهُودِ

يَبتهلُونَ بِقولِهم يَا وَدودُ

هَا هُو الآدَمِي
قَد انتفضَ مِن الوِزرِ
بعدَ أنْ كَابدَ الشّوقَ
وعَانَى مرارةَ الحِرمَانِ
لثلاثٍ خلتْ، إلّا مِن العِنايةِ
وقسم فِي الازلِ
للمُستغفرينَ مِن الزللِ
الرحمةُ عَلَى مَن أقَرَّ
عَهداً أُبْرمَ مِن دُونِ شُهودٍ
اللطفُ عَلَى مَن ذَكَر
خلة تَأصّلتْ فِي السّجُودِ
ومِنحة أُعطيتْ لكلِّ مَولُودٍ

(٢)

فيما تمُرّ المحنُ وتكاد الفتنُ تعصفُ بالوطنْ
يبقى الفكرُ ملاذاً من الغرقِ وصوناً من الضياعْ.

(٣)

لا أعلمُ عن وطنٍ نهضَ به جهلاءُ ولا عن أُمةٍ رفعً علمَها غرباءُ.

(٤)

زرت المدينَة هُنيهةً فلم أجدْ فيها نفراً من الأذكياءِ، كما أنّ عيني تاهت ولا أخالها غفلتْ عن نَابهاتٍ زَاكياتٍ.

(٥)

تبرج الفتيات بِحِجابهِنّ يُغرِي،
لكن تمرُّد العجائزِ بقرقابهِنَ* يفتكُ.
وقد كُـنّا حين نَقالدهُنّ نبكي تِذكاراً
لِما مَضَى من العِبَر وما فَاتَ من المَحنَة.

(٦)

ضمور الكائن الثقافي همّل العيين، فما عادت إحداهُنّ تتفدع* وقد كانت حتى حين تتمنّع

تجبر ما تفطرّ من الفؤاد إيذاناً بلحظ

أو تشفيراً للحظ.

عدّلي ثوبكِ: كم هي جميلةٌ الألوانُ

الاستوائيةْ وكم هي مهيبةٌ القامةُ الإفريقيةْ؟

(٧)

يتزوجُ الرجالُ بنساء ثمّ يكتشفونَ من بعد
أنْهنّ أفاعٍ بيضاء. لا أعرفُ كيفَ تتعايشُ
الصبرةُ والأفعى!

أغلب الظنّ أنّ الأخيرة تتلذّذُ لمنظر الأولى
وهي تتلوّى تحت قبضتِهَا، ربما طلباً للخلاصْ.

يا تُرى أهي قلةُ الحيلةِ أم بلادةُ البصيرةْ؟

(٨)

لا أدري عمّا نَغضّ البصرْ،

فمَا عادَ القلبُ يشتهِي

ولا العينُ يسرُّها أو يُبغضُها ما قد سَترْ.

هل هناك إلاَّ أذى للخاطرِ

أو خطرٌ على الناظرِ؟

(٩)

أحد أعوان الرئيس يجاهر بصحبة غانية
(غاب عنها رشدها قبل زوجها)،
وكل ذلك لم يمنع والده بإيصال العهدة إليه.
جمع الأحباب وقال لهم: إذا أمر اللّٰه حان!
فقد عهدت بالأمر إلى ولدي.
لم ينطق أحد منهم، وما كان له أن يفعل.
فهل كان يزيد أرشد؟

(١٠)

زعم أحد الناشطين أن البنية الثقافية العميقة
أفرزت «منظومة دينية سلفية شمولية
كاملة»، هي إحدى أكبر بلاوي الأمة
السودانية كآفة.
هل هي السلفية أم عاطفة الشعوب البدائية؟
متي تكف النخب عن التأكيد على محنتها

الشخصية
والتصميم على جعلها محنة للوطن؟

(١١)

يمقت الفقراء الأغنياء ويشتهون ثرواتهم.
هل يختلف ذلك عن قولهم
«يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون»؟
أيهم أولى بالادخار حظ قارون أم زهد بن عمه؟

(١٢)

الشخصية السودانية معلولة.
فيما يحتل الجنس محوراً في نرجسيتها،
يبقى العقل معطلاً بما نزل من محلول.
هل يختلف هذا القول عما أدعته الصحفية
فاطمة شاش وفيما ذهبت إليه من تعميم؟

(١٣)

تباهى أحدهم بشراء قصرٍ بضاحية كافوري.
وتناسى أن من جاء ممثلاً لقضيتهم
يقطنون معسكرات
ويلتحف غالبيتهم السماء.
لا أخالهم، هؤلاء البؤساء (الفقراء إلى الله)،
قد تركوا الدعاء.

احتفاء دارفور بمثقفيها مُحيّر،
تباهي المركز بجلاديه مُعَبّر!

(١٤)

نزلتُ على أهل قرية فأبوا أنْ يضيفونني،
فقلتُ للغلام أعنّيِ على بناءِ الجدارْ.
وأسررتُ
«مَن أرادَ اللهُ خلاصه حرمَهُ الأجرَ وأنذرَهُ
الكفاء»
«مَن لم يُحسن الرفادةَ فليحسنْ الإخاءَ»

(١٥)

«وطنٌ يَغيبُ عنهُ الكَلِيمُ
ويقطنُه اللئيمُ»
ما أغربَهُ من نغمٍ وما أعجزَهُ من شَجَنْ.
هي إرادةُ اللهِ في قومٍ كادَ أن يعمّهم العارضُ
وكادتْ أنْ ترحلَ عنهم العنايةُ.

(١٦)

يغضبُ الوالدُ أو يَرضَى فيُحابي في الشرعة
ويندبُ نفسَهُ للهلاك.
لا أعلمُ عن ميراث أغنى قوماً ولا عن يمينٍ
غموسٍ ساقتْ صَاحبَها إلى البِرّ.

(١٧)

لا يَخشى الرَجُلُ عَلَى عِيالِهِ الفَاقَةَ
قدرَ ما يخشى عليهم من الإعاقَةِ.
فَحُب التّراث يَعمِي مَن حَضَرْ

ونزوةُ الجهلِ تُغرِي مَن تَولّى وأدَبرْ.

فِراراً من قدرِ اللهِ إلى ساحةِ الأملْ،
واستنظاراً لرحمتِهِ مِن بئرِ الحَنق.

(١٨)

أغارت المعارضة على السنطة
«قرية في جنوب دارفور».
أيهم أولى بالاستهداف:
أفراد العصابة أم عصبة الفرادة؟
أيهم أولى بالاغتيال: المجرم أم الضحية؟

(١٩)

لم يكتف أحدهم عن استغلال الأحياء
فسعى إلى استثمار الأموات.
هيهات!
ما الذي فعله لذراري الأهالي الذين حصدتهم
آلية العسكر؟

يا تري هل أدى القائد الملهم واجب العزاء في أخو الرضية، وقد تآمر على ابنه إذ أمر انصاره بعدم السماح للقائد البطل بإذاعة البيان، وقد احتلها، اي الإذاعة، بجدارة وجسارة.

لماذا لا يكف «حاج موت» عن فقع مرارة «حرق كبد» المواطنين، ائتمانا للحكمة:

فليسعف النطق إن لم يسعف الحال؟

(٢٠)

خسر علي «بيلو» الرئاسة

لكنه ربح الدرجة الرابعة والثلاثين في تنظيم الماسونية العالمي

الدرجة الأعلى التي لم ينلها أي عربي أو إفريقي باستثناء الملك المضيع في باحة الصقيع.

(٢١)

الكمالان تكاملا الشينة.

أخطأ الأول إذ عمم الخاص،

وأخطاء الآخر إذ تنبر بما لا يجوز أن يكرر.
فلا الشيوعية عادت ثورة حقيقية
ولا اليمين بمقدوره أن يعترف بالحقيقة:
كل ما عملوا له هو عبارة عن وهم،
يشمل ذلك الخلافة.
فالخليفة هو العقل، على مذهب
شيخنا المعري.

(٢٢)

التقيت بصوفي لم يقرأ للتوحيدي،
وسوري لم يقرأ لأدونيس،
وعراقي لم يقرأ لنازك الملائكة،
وسوداني لم يقرأ للمجذوب.
غربتي لا تضاهيها غربة.
أجاور خبيراً إذا تذمّر عيّرَ «بالتفلسف»
وإذا «تمنطق» مطّ الكلم دون أن يصل به إلى قرار.
يعتقد الأفندي أنه يمكن أن يبدع دون أن يقرأ

الرواية،

بل يبتغى، عبثا، الترقي في مراتب الفكر دون
أن يفهم من الكتاب آية.

وهل خصب الخيال إلا بالسبح في الآفاق والمجال؟

(٢٣)

دخلت الجمعة فوجدت الخطيب يتكلم عن
سارتر، وهوغو وابن خلدون.

وقد كان حرىّ به أن يتواضع في حضرة من
أعطى جوامع الكلام،

محمَد «صلي الله عليه وسلم» الذي قال:

حدثوا الناس بما تعي عقولهم، أتريدون أن
يكذب الله ورسوله؟

في الخرطوم مدرسة للتنوير يقودها وعاظ.
كلامهم خلط، وحديثهم خبط.

لولا خشيتهم التهم

لقالوا كلاماً يُعلي الهمم،

لكنهم قومٌ يعدلون.

(٢٤)

عندما كُناّ مُتكافلين كُنّا لا نَشبعُ،
عِندمَا سَاء الطبعُ بلغنا من الوجع مَبْلغاً.
فَقَدتْ الأشياءُ مَذَاقَها
ولَمْ يَبقْ إلا أنيسُ الليلِ،
فَهوَ وَحده الذي لَا يُحَابِي
ويَقبلُ عِندَ الفجرِ صَابِي.
الخَفَاءُ درءُ للرِيَاءِ ومَجْلَبةٌ للحَفَاءِ!
لِمَاذَا لا تُغلقُ مُكبّراتُ الصّوتِ عِند الصّلاةِ؟

(٢٥)

ابنُ الثّمانِينَ فِي المَاخُور يُبَاهِي بِعَجْزِه
وابنُ الأربعينَ يَتَسكَعُ فِي الطُرُقَاتِ إهْدَاراً لوقته.
لا يُبَالِي المرءُ فِي هَذَا الزّمَانِ بِضَعفِ العُمرِ أو تَضْعيفِه.
هِي كَارِثةٌ بل هِي إحدى الكُبر
لِمَن شَاءَ مِنَا أنْ يَتقدّمَ أو يَتَأخّرَ.

(٢٦)

الأشقياء لا يموتون

أو لعلنا لا نفتقدهم.

الجثامين تأتي تباعاً في الطائرات.

يموت الناس غبنا بعد أن هرعوا من بلد تزرع فيه الدسيسة ويحصد فيه الهلاك.

نظر أحدهم إلى موطن قبر فأيقن باستحالة سعته للصندوق،

فقال لهم احجزوا هذا لي

وأحفروا غيره للسابق.

لم تمهله العاديات فمات الأمين،

الشاب المهذب، النبيه،

والوديع بعدها بشهرين.

هل الفال تحت اللسان

كما تقول ربات الخدور

أم أن كره «الكيزان» أعمى صاحب المقال؟

(٢٧)

توفيت معلمة بعد أن تهدم بها كنيف* المدرسة

ولم تستطع جهة رسمية إنقاذها

رغم إنها ظلت ثلاث ساعات

تنادي والتلاميذ يصيحون

من فوقها «يا ستنا»

وهي تجبر دمعهم

بقولها: يا ربنا

ما بال الحكومة تصرف ٨٠ ٪ من ميزانيتها على الأمن

وهي لا تستطيع أن تؤمِّن الصعود لمواطنة تؤدي واجبها

متحمّلة عبء النهوض بأمّة خاملة!

(٢٨)

مات أخٌ لي ولها

فبكيته بكاءً مراً، وأبكيت.

ذكرتني أختي بالاستغفار وقالت لي بلغة أهل البلد «الدنيا ماها جنة يا أبو النعمان».

استدركت، لكنني قلت لها وقد عييت

«دعيني يا (أم جِزم) فقد مزقت الغربة

فؤادي وأفقدتني حبي من أصحابي.»

عقبت: تعمل شنو يا أخوي دا حال الدنيا!

(٢٩)

ود المدير آنسني بحسه الإنساني

وبداهته الأمدرمانية.

لا تنس طرفته المجراة على السجية.

رب أخ لك لم تلده أمك.

إذا حِدّتَ عن الحق صوّبك

وإذا غرّك «هنبريب*» الزمان وعظك

وإذا آليت على نفسك رسّاك وعقّلك.

قال لي «لا رجعة إلى تلك البلاد»

قلت له «بل رجعة وألف رجعة،

فهناك العقب، والمؤنس والعشير»

(٣٠)

أيس الناس من صلاح الحال فذكرهم الواعظ

وأنبأهم أن الدول من الدوال

ودوام الحال من المحال.

ما كان لنا أن نصل بمعتقدات

مثل الطائفية، المركزية، الايدولوجية، والعنصرية إلى نهاياتها وخلاصتها غير المنطقية

دون أن نلج في هذا المخاض إلى حد الساق، والعبرة بالمآل.

بيد أن من ارتكب الجنية

يجب أن لا يعهد إليه بالوصية!



لوحة لفنان تشكيلي مستشرق

حد التعدد عند الفلاسفة

(١)

عَشِيقَتِي حَوْرَاء
لَها خَصْلَةٌ سَوْدَاءُ
فِي رُدْهَةٍ مِن الحَيَاءِ.
مَتَى مَا الْتَقيْتُهَا تَأمّلتَ ثَوْبَهَا
فَإذَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنْ جُدْرَانِ فُؤَادِي.

(٢)

جَلْستُ وإيّاهَا عَلَى سَطْحِ الجَبَلِ
أَشَارتْ إلى نَاحِيةِ المَدِينَةِ وَقَدْ تَلَأْلَأتْ أنْوَارُهَا
جلالاً وبَهاءً
اسْتِحْضَاراً لِهَيْبَةٍ مِن أَمْرٍ.

وَقَالَتْ:

هَل تَرَى مَقَامَ ابْنِ الفَارِضِ؟

قُلْتُ: لاَ أكَادُ أتَبيْنَهُ مِن هَاهُنَا

قَالتْ:

إِذْنَ حَالتِ الأَحْوَالُ بَيْنَنَا،

أنت فِي سَاحَةِ المُقَطّم تَلْهُو

وَأنَا فِي حَضْرَةِ العَاشِقِ أَشْدُو.

(٣)

يَجْهَلُ مَنْ يَظُنُ أَنْ النّسَاءَ غَافِلَاتٌ،

يَشْتَطُ مَنْ يَحْسَبهُنَ مَاجِنَاتٍ.

مَا بَيْنَ الغَفْلَةِ وَالمُجُونِ

مِسَاحَةٌ مِن الظّنُونِ.

(٤)

لاَ تَكَادُ تَبْلُغ إِحْدَاهُنَ الأربعينَ

حَتّى تُدَاهِمُهَا خُيولُ الشَهْوَةِ،

تَجْأرُ، تَسْتَغِيثُ،
تَتَمنّى الرّجُوعَ إلى حِصْنِ التَقْلِيدِ؛
لَكِن هَيْهَات
فَقَدْ ادْلهَمّ الخَطَرُ وَزَاغَ البَصَرُ.

اسْتَنظَرَت فاسْتَمْطَرتْ رحمةٌ من السَمَاءِ، سَعِدَت
إذْ رَأتْ للفِكْرِ ضِيَاء،
تَنَهّدَتْ إذْ أَحَسَتْ للرُوحِ صَفَاء.

(٥)

مَسْكن لهَذه، كَنْتك لتلك، تلهف لسلك،
مَسْفِر، شَفِر، أفعل ما شئت، فَلَا شَيَء
يَعدِلُ صُحْبةَ الأمِينَةِ!
ما ادّخَرَ جهدُ إلّا انْفَسَحَتْ بِمُوجِبِه
وَعَنْ رَهْبَتِه قَرِينَه.
حَد التَعَدّدِ عِنْدَ الفُقَهَاءِ أَربعةٌ،
وعِنْدَ الفَلَاسِفَةِ تِسْعَةٌ!

(٦)

صَدَاقَتْكَ لِقَرِينَتِكَ أَجَلّ مِن الحُبِّ وأَبْهَى،
حُبّكَ لِرفيقتِكَ عُنْوانٌ للصِدقِ وأَدْعَى.

(٧)

الفِكْرَةُ كالشّهْوةِ
تُداهِمُكَ دُونَمَا أَدْنَى اعْتِنَاءٍ بالظّرْفِ
أَوْ تَكيّفٍ مَعَ الطّرْفِ.
مُحَاوَلَتُكَ للتّكيّفِ مَدْعَاةٌ للانصِرَافِ.
استجلى الأُولَى واستمرئ الثانية.

(٨)

فِي انْتِظَارِ الصّولَةِ،
كَانتْ لَنَا فِي إنجمينا جَوْلَة
اِخْتَرَقَتْ فُؤَادي نَظْرَةٌ
حَرَقَتْ أحْشَائِي فَزَرَة.
قُلتُ لِشيْخِي:

أَجْملُ نِساءِ الحِزَام المُهْرَيَات،
قَالَ لِي:
بَلِ القُرْعَانيَات.

لَعَلّهَا العَصَبِيّة قَدْ أَفْسَدَتْ كُلَ شَيءٍ،
حَتّى الذّوْق!

(٩)

قَلّمَا يَتَجاوَرَانِ:
النّبَاهةُ والوَرَعُ.
لَوْ خُيّرتْ لاخْترْتُ أَنْ أَكُونَ ريشةً فِي مَهَبّ
الرّياحِ، حَتّى أَرْسَى عَلَى بَرٍّ
لَا يَهُولُنِي،
أَوْ أنيبُ تَحتَ مِيزَابٍ لَا أَطَالُهُ.

(١٠)

برع الواعظ في باديتنا في وصف الحور العين
علم العربي عنهم بالتقريب،

لكنه لم يجرؤ أن يسأل عن فريقهنّ.

هاله أنهنّ «مكنونات في الخيام»

وقد اعتاد أن يتاوق «يسترق النظر» لهن من فوق الصريف.

أنبأه صاحبه الظاعنٍ أنهنّ من نساء الجنة، طفق متعجباً وقد زال تلهفه

وقال

«لو اللّه بيشاورنا يجيب لينا صحباتنا القِدم»!

(١١)

الثقافة هي أخلاق

والأخلاق هي التزام بقضايا الجماهير.

لا أدري كيف يجرؤ أن يتكلم عن الأخلاق،

وينشئ قناة يلعلع فيها على رؤوس الأشهاد،

من شيدوا بنوكاً لسرقة قوت المسكين

وكونوا مليشيات لحرق قراهم.

لو ديل عيال أم در

فالبلد قد جرى فيها النعام،

عووووووووووك.

(١٢)

كنت أجلس في دكان قريبي في سوق المحصول،

فكانت اللواري تأتي ليل نهار، محمَلة بالمحاصيل،

فيما ينشغل التجار بتدوين الكمبيالات،

حتى أن بعضهم يذهب للاعتناء بها في منزله، وذلك قبل مجيء الانقاذ!

جئت بعدها فإذا الساحة خالية.

استفسرت عن الأمر، فقالوا

إنّ «الإخوان» قد فتحوا الباب لاستيراد الزيوت من ماليزيا.

هكذا عمدوا إلى ضرب كبرياء الريف.

حمل الصبيان السلاح، وقالوا الموت أفضل!

(١٣)

بلغني أن المجتمعات قد انتقلت من الثورية إلى الحوارية،

وأنهم قد عقدوا منتدى في دافوس لتحقيق هذه الغاية

أغلب ظني أنها دعاية،

فإن جشع الغالب لا حد له

وابن آدم ما بملي جوفه إلا التراب.

(١٤)

في شجاره مع الإمبريالية العالمية

اعتمد القديس مانديلا أسلوب الدبلوماسية البديلة،

لكنه أبقى على قوته.

فرق بين القوة والعنف:

القوة قناعة فكرية وروحية بالقضية،

العنف هو محض إفلاس.

(١٥)

محتار في أمري،

لا أدري كيف تحتكر دول الشمال

رؤوس الأموال،

المعلومة،

التكنولوجيا، المؤسسات الدولية،

القنبلة النووية،

الممرات البحرية،

إلى آخره،

وتأتي بعد ذلك غاضبة، متنفجة ومتهمة،

بل مُعَيِّرة دول الجنوب بالتخلف؟

يا هوووووي:

ما لم تراجع بنية الاقتصاد العالمي

وتعاد هيكلته،

فإن الشواطئ الأوروبية ستظل ممتلئة بالجاثمين والغرقى من المهاجرين.

يا لها من معرة

أن يغتني الأغنياء بفقر الفقراء.

(١٦)

الفقيه والفيلسوف تشاجرا بداخلي
فانتصر الأخير وازدهى قائلاً:

الحياة أزكى من أن تحشر في قالب
والكون أرحب من أن تحتويه المشارب.

(١٧)

كان في بلدنا رجل يزكي على طريقته
ولا يصلي إلا إذا انتابه الحال،
حينها يتناغم مع البارئ.

قبل ثلاثة أيام من موته
اشترى بهيمة وربطها على جنب.
سألته أم عياله،
قال لها بكل رباط وجأش:
«دي تضبحوها يوم كرامتي.»
قالت: يا راجل إنت ما نصيح،

إنت شديد ومعافى.

لم يشأ أن يجادلها، وانصرف لشأنه.

أسلم الرجل روحه بعد ثلاثة أيام بالتمام والكمال.

عندما سألنا عن كريم خصاله،

قالوا الكرم وزادوا:

كان يتكفل بتزويج كل من أراد يعف نفسه من قرابته.

....

صَدّقُوا،

لَا يُوجدُ كَريمٌ إلاّ هُو أَهْلٌ للوَلَايَةِ

وَلا يُوجَدُ وَليٌّ إلّا وَهْوَ بِالمَكَارِمِ فَاضِلُ.

(١٨)

من لم يحس تحقق الصفات

فقد أنكر محاسن الذات

(١٩)

فِيمَا كَانتْ الرّاحُ تَدُورُ
مُنْعِشَةَ العُقُولْ
وُمُتَلّهَفَةَ الوصُولِ إلَى أَفْوَاهِ الشّارِبينَ
كَانَ النّدَامَى عَلَى أيامِ نَاسِ «أبُوالجَعَافِر»
يُدَنْدِنُ مُطْرِبُهُم بالعُود فَتَتَعَالَى أَصْوَاتُهُمْ مُنْشِدَةً:
السُرّاي السُرّاي* الجَافُوا النّومْ وَعَقَدُوا الرّاي
الليم مِتينْ يَامَوْلاي
أَوّلْ بُدَاي بِالأنْزَلْ القُرْأنْ آي
أَرْجُو الهداي وَأقْهَرْ عِدَاي
وَأسِيرْ بسيرْ نَاسْ آبَاي
ثَنيتْ غُنَاي
فُوقْ الرّسُولْ كَابِي وَحِجَاي*
يُومْ حيرتي وَكَشفْ غُطَاي
غيرْ الشّفِيعْ مَاعِنْدي رَأي.

(٢٠)

أرجوكم خذوا نسختكم
وأرجعوا بها من حيث جئتم،
وسنوفر لكم سفناً تقطع بكم طريق الأربعين
أو تعبر بكم البحر الأحمر.
إنما يناسب طبعنا وينسجم مع هويتنا
الدين الشعبي.

(٢١)

يقول الفنان البديع عاصم الطيب
إنّ الإسلام قد دخل السودان
بقولهم «سبحان اللّه»
ولم يدخل
بــــــــــــهتافهم «اللّه أكبر».
وهو بذلك لا ينكر كبرياء المولي،
إنما يشير إلى احتفاء شعوب القارة بالجماليات
وامتناعها عن الامتثال للقهريات،
سيما الزجريات.

(٢٢)

الجانجويد؛
دعوتهم جهارا
وأسررت لهم أسرارا،
فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم بأموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا.
ما لكم لا ترجون لله وقارا؟

قالوا: كنا في حالة دفاع عن أنفسنا
قلت: هذه دارفور،
فما بال كردفان!

(٢٣)

في الخليج مدنية هبطت من السماء،
ولأول مرة
مخالفة بذلك عرف الحضارات.

زعمي أنها ستتبخر

ما لم تثبت في قاع الرمل أوتادها!

(٢٤)

ود البشير قال لي يوم أن زارني:

مجيئك إلى هذه البلاد ردة حضارية.

قلت له، يا صحبي

لعلي أنهل علماً أو أكتسب خبرة؛

أقلها نيلي هدأة احتاجها بعد

عناء أصابني في بلاد السود.

(٢٥)

جئت لأدخل من عند الباب المهيأ للعامة

فلم استطع،

قالت لي صاحبتي

«خلينا نجلس في سوق واقف ونسترق السمع»،

قلت لها:

لا يمكن. هذا الأمـر يصـلح مع أي فنان إلا أبو عركي

لأنه لا يغني فقط من حنجرته،

إنما أيضاً من عروقه.

اتصلت بأحدهم، شاب من أهل شبشا الكرماء، أدخلنا وأجلسنا في صالة كبار الزوار.

غنى مصطفى السني وأجاد.
أما
أبوعركي البخيت، هذا العتيق المجيد، قد استنفر همة التاريخ واستجدى عبقريته حتى كاد «جبل مرة» أن يمتثل شامخاً في سيمياء الحضور.

أبقى الله للجبل نوره وبلوره

وأعاد للشعب فرحته وسروره.

لا يستمد أبوعركي عظمته فقط من غنائه، إنما من بسالته، وطنيته،

ووقفته الإنسانية مع صديقه،

ورفيقه، وزميله خليل إسماعيل،

ومع الناس كآفة.

(٢٦)

أفنى أحدهم عمره في خدمة الكهنوت.
فلمّا مرض لم يتكفل الكهنوت ولا أبناؤه
بعلاجه أو التطوع بمجرد ايصاله إلى
المستشفى،
إنما اكتفوا فقط بالاتصال بأهله.
وذلك منهم كثير!

تكفل أهل «الملازم» المريض
بإيصاله إلى المستشفى.
قرر له الطبيب عملية مرارة عاجلة.
لم يكن لديهم المال اللازم فاتصلوا بالكهنوت
راجين العون.
مات الرجل دون أن يجد الكهنوت فرصة
لعيادته،
أو تقديم المدد لأهله،
أو الذهاب لتأدية واجب العزاء.

بالله عليكم، هل يؤتمن مثل هذا الشخص على
إقامة دولة رعاية اجتماعية؟

عرفها المحجوب
يومها قال لهم:
أخشى على هذا البلد
من مُلتحٍ ومُلْتَاح*

(٢٧)

صغريات الأمور
مدخل جيد ونافذ لذينك الشخصين،
فإنهما يتخندقان عند كبارها.
لقد أرهقا السودان، أرهقهما الله ،
ونال منهما قدر ما أساءا إلى
إنسان السودان وإرثه.

(٢٨)

عندما توفّيَ السيد/ علي الميرغني
كان ثالث أغنى رجل في إفريقيا،
وذلك في الستينات.
أعجب كيف لم تنشأ باسم فخامته

منحة حتى اليوم، ولو لأبناء الختمية.

ألا يستحق هؤلاء الكبار التكريم والإجلال؟

أخشى أن نطوق يوم القيامة

بما بخلنا به عليهم

وأن نحرم من الميراث

بسبب تفرقنا عنهم

وذلك إلى يوم الدين!

(٢٩)

عُوتِبَ صَاحِبُ الخُلُق العَظِيمِ

مِنْ قِبَلِ رَبِّهِ

لِعُبُوسِهِ

فِي وَجْهِ رَجُلٍ،

ابْنِ أمِّ مَكْتُوم، وَهْوَ أعْمَى لا يَرَى.

كَيفَ بِنَا وَنَحّنُ لا نُكَشِّرُ بَلْ نَتَجّهَمُ

فِي وَجْهِ مَن طَلَبَ التّزْكِيةَ

وَمَن رَغِبَ فِي الذّكْرَى.

كَي تَكُونَ مُحْسِناً
لا بُدّ أن يَكُونَ
تَعَامُلُكَ مَعَ الخَلْقِ هُوَ تَعَامُلُ مَعَ اللّهِ.

(٣٠)

اشْتَقْتُ لِخَيّلِي واشْتِيَاقِي لِرَبْعِي أشَدُّ.

إذَا إلتَقَيتَهُمُ فَرِحُوا للقَائِي
وإذَا تَفَرّسْتُ وجوههم سَعدَ رَجَائِي
هُمْ أجْمَلُ النّاسِ إذَا هَشّوا وَبَشّوا
وَأشْجَعُهُمْ إذَا اقْتَحَمُوا وَتَغَشّوا

قَالَ لِي الخلِيفةُ: يَا أبَا النّعْمَان
هَادَا بَكَانُكَ، أبن لَهُمْ مَسِيداً*
وَفَقّهَهُمْ فِي الدّينِ.

قُلْتُ لَهُ مُسْتَنْكِراً:
وَمِنْ أَيْنَ لِي رِزْق عِيَالِي؟
صَمت وأَطْرَقَ..........

اسْتَدْرَكْت آخِراً
تَذكّرْتُ نَادِماً وَمُتَحَسّراً
قَولَهُ تَعَالَى فِي سُورةِ النّسَاءِ:
«وَلَوْ أَنّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِه لَكَانَ خَيْرًا لّهُمْ وَأَشَدّ تَثْبِيتًا. وَإِذًا لّآتَيْنَاهُم مّن لّدُنّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا»
(النّسَاءِ: ٦٦-٦٨)



لوحة للتشكيلي إبراهيم جبريل

إدريس كان نوبياً

(١)

بِمُنَازَلَتِهِمْ الطّاغُوت وَدَكّ حُصُونِهِ
الثّوارُ يَمْحُونَ عَنّا العَارَ
بِاّتبَاعِهِمْ الهَوى وَرَصْدِ مِجُونِهِ
مِنْهُم مَن يَجْلِبُونَ لَنَا الشّنَارَ

قُلْتُ لِوَالِدِي:
مَا يَنْبَغِي أنْ تَعْقِدَ رَايةً للحَرْبِ فَنَتَخَلّفَ عَنْهَا
قَالَ لِي:

يَا بُنَي لَقَدْ أكْرَمَني الشّعْبُ إذْ جَعَلَني وَزيراً
لِدِفَاعِهِ وَأنا لَمْ أتَجَاوَزْ بَعدَ الثّلاَثين،
أتُخَالَنِي أحْمِلُ البُنْدِقيةَ عَلَى الجُنْدِي

الذي حَيّانِي وأَنَا أُنَاهِزُ الثّمَانِينَ.

قُلْتُ: الجُنْدُ غَيْرَ الجُنْد

والقَادَةُ غَيْرَ القَادَةِ

قَالَ: أعْرِفُ ذَلِكَ،

مُخْتَلِفِينَ، مُتَحَارِبِينَ، مُتَخَاصِمِينَ،

لَكِنّهُمْ سُودَانِيينَ وَلَابُدّ لَهُمْ مِن أَوْبَةٍ.

فَقَدْ خَبِرْتُهُمْ مُتَسَامِحِينَ

وَفِي الأَوْطَانِ رَاغِبِينَ.

أَدْرَكْتُ أنْ القَوْمَ أَجْلّونَا

بِتَقْوَانَا وَلَيْسَ بِتَقْواهُم

(أوْ كَمَا قَال أبا الحسنين)

(٢)

أجْمَلُ القْبُلَاتِ مَا تَقَابَلَتْ فِيهَا المَعَانِي

قَبْلَ الأَمَانِي

مَا التَاعَ القَلْبُ   إلاَ نَبَضَ الحِسُّ وَشَاعَ

(٣)

تَرْقَبُ النَهَرَ
هِيَ فِي مَدَارِ القَمَر
تمّلى مِن خَاصِرَتِهَا
قبلَ المَدّ وبَعْدَ الجَزَرَ

(٤)

فِي انْثِنَائتِهَا دَهَاءٌ
فِي نَظْرَتِهَا عُمْقٌ وَجَلاءٌ
لَمَاهَا ألَمٌ،
مِشْيَتُهَا نَغَمٌ،
أنفُهَا كِبْرِيَاءُ وَشمَمٌ
قَالَتْ:
أنتَ غَريبٌ عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ
قُلْتُ: وَلِمَ؟
قَالَتْ:
عِمَامَتُك،

جُلْبَابُكَ،

عِبَارَتُكَ،

رَزَانَتُكَ

والحِمَى،

قُلْتَ: بَلْ هُم الغُرَبَاءُ!

رَجَعْتُ لَهَا بَعدَ يَومٍ،

وَلَيْلَةٍ

لَمْ أهْجَعْ فِيَها إلا قَلِيلاً

قَالَتْ:

كَيفَ حَالُكَ؟

قُلْتُ:

حَالِي حَالَ مَن يُغَالِبُ الشّوْقَ وَالعَنَاءَ

قَالَتْ:

فِيمَ التّشَوّفُ،

ولِمَ التّعَوّفُ والإِبَاءُ؟

....

قُلْتُ:

عِقدٌ بالأمسِ، أضَاءتْ «سَوَامِيتُهُ» جيدَكِ
وَالبَهَاءُ.
قَالَتْ:
اسْتَحْمَمْت لَيْلاً، وَافْتَقَدْتُهُ فَجْراً،
قُلْتُ:
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْل الغُسْل ماءْ.
قَالَتْ:
ضُمّنِي إِلَيْكَ وَدَعْ الْغُلْوَاءَ.
قُلْتُ:
لَا يَسُودُ القومَ نجْلٌ خَانَ المِيثَاقَ
وَلَمْ يُعْنَ بِالوَفَاءِ.

(٥)

شَارَةٌ عَيْبٍ، أعْمقُ دَلَالَةٌ مِن كَلِمَةِ حَرَامٍ،
لَوْ كَانَ يَعْلَمُونَ!

(٦)

اتّصلْتُ مُهَنّئاً إيّاها بعِيدِ المِيلَادِ
قَالَتْ:
أسَرّكَ أنّي بَلغْتُ الخَمْسِينَ؟
قُلْتُ:
بَلَ هَالِني النُضّجُ،
وَرَاعَني
أنّكِ بَعدْ خَمْسٍ،
تَتَوحّدِين،
جَمَالٌ واقْتِدَار،
حِلمٌ وازْدِهَارٌ،
وَعِرْفَانٌ فِي القَلْبِ غَارْ

....

قَالَتْ:
مَا هَدِيَتُكَ إلَيّ؟
قُلْتُ:
خَمْسِينَ لَابِسِينَ الدُّرُوعَ

وخَمْسِينَ حَامِلِينَ الشّمُوعَ
نُنْشِدُك المُوَشّحَاتِ
وَهُنَّ المُلْهِمَاتُ
وَفِيهِنْ دَعْوَاتٌ مِن اللّهِ مُبَارَكَاتٌ
قَالَتْ:
سَرَرْتَ خَاطِرِي
وَأجْلَيْتَ نَاظِرِي،
أيْنَ الأَلاءُ المُرَصّعَاتُ؟

....

ضَحكْنَا
وَافْتَرقْنَا عَلَى
قَوْلِهَا
«بَايْ بَايْ»
«بَايْ بَايْ» يا ولاض امّي.
قَطّعَتْ حَشَايْ.
وأنْذَرَتْنِي مِن «الآي اي».

....

فَارَقْتُهَا،

وَلَمْ تَزَلْ فِي القَلْبِ لَوْعَةٌ،

بَل لَوْعَاتٌ،

رَجَعْتُ

بَحَثْتُ عَن (البِزْنِس كَارَد)

لَمْ أَجِدْهُ.

قُلْتُ لَعلّ التِّرْحَالَ أضَاعَهُ،

أوْ لَرُبّمَا مزقته أمُّ الأوْلاَدِ!

(٧)

كَانَ فِي حَاشِية مَلك من المُلُوكِ الأوُروبِيينَ،
أَحَدُ النُّبلاَءِ السّودِ.

خَرَجَا ذَاتَ يَوم فِي رِحْلَة صَيْدٍ،

وَعِندَ رُجُوعِهِمَا بَشّرَتْهُ الخَادِمَةُ بِمَوْلِدِ طِفْلٍ
جَمِيلٍ.

هَرَعَ إلَى زَوْجَتِهِ مُهَنّئاً

رَاعَهُ أنّ الطّفْلَ أسْوَدٌ،

نَظَرَ إلَى أَفْرَادِ الحَاشِيَةِ

قَاطَعَتْهُ القابلة (الدّايَةُ):

لَعَلّ ذَاكَ الفَارِسَ قد نَظَرَ إِلَى زَوجَتِكَ نَظْرةً حَانِيةً،

وَهْيَ حُبْلَى

تَبَسّمَ وانْصَرَفَ!

(٨)

هَلْ تَعْلَم أنّ يُورب (Europe) اسْمٌ لِمَلِكَةٍ مِن مَلِكَاتِ إفْرِيقيَا؟

كَانَ الأسود وَكَانَتْ حَضَارَتُهُ،

وَمَا زَالتْ مَصْدَرَ إِلْهَامِ للبَشَرِيةِ

تَنَكّرُوا لَهُ،

جَحَدُوا فَضْلَهُ،

اقْتَادُوهُ فِي السّلَاسِلِ

كَيْمَا يُقَنِنُوا هَرَمِية عِرْقِية

عَرَجُوا عَلَى تِمْثَالِهِ،

جَدَعُوا أنْفَهُ

أبْقُوا عَلَى زِنْدِهِ طَامِعِينَ

ثُمّ جَاءوا بَعدَ ذَلِكَ واعِظِينَ

وَعَن حُقُوقِ الإنْسَانِ مُتَكَلّمِينَ

تَبِعَهُمْ المُرْجِفُونَ،

المُغْرِضُونَ والقَوّالُونَ

لَمْ يَنْتَبِهُوا إلّا وَقَدْ اسْتَحَالَتْ

دَوْلَتَهُم إلَى رَمَادٍ.

وَمُجْتَمَعَاتُهُم إلَى شَتَاتٍ.

(٩)

للإمْبرِيَالِيةِ

أجَنْدَةٌ تَفْتِيتِيةٌ

طَبْقَهَا الأفَنْدِيةُ

كلٌ بَاَء بِوِزْرِهِ،

إلاّ القَائِدُ المُلْهَمُ

فَقَدْ رُفِعَتْ بِشَأْنِهِ قَضِيةٌ

وادُّخِرَتْ أموالُهُ فِي حِسَابٍ
إلَى حِين تَلَقّيهِ أوَامِرَ بالانْصِرَافِ
أوْ يَنأَوا عَنْهُ
لَعَلّهُ يَموتُ سِجْيناً
أوْ يَتَلَقّى المَوْتَ الزؤامَ

(١٠)

فِي «خَرِيفِ البَطْرِيكِ» كَتَبَ
غَارسِيَا مَاركِيز عَن
دِيْكتَاتُور
ظَلّ الشّعبُ يَتَحَاشَى تَوْجِيهَ اللومِ إليْهِ
فِي كُلِّ مَا حَلّ بهِ مِن المَصَائِب،
بَلْ يَتَنَهْدُ أَفْرَادُهُ من أعْمَاقهمْ فِي كُلّ مَرْةٍ
يَسْمَعُونَ فِيهَا عَن عَمَلٍ وَحْشِي جَدِيدٍ
قَائِلِينْ «آهِ لَوْ أنّ الجَنَرالَ يَعْلَمُ!»

(١١)

أُمِرَ مَلَكُ المَوتِ
أنْ يَقْبِضَ رُوحَهُ فِي السّمَاءِ
تَعَجّبَ، لَكِنهُ امْتَثَلَ

بُرْهةً يُرْفَعُ إلَى الدّرَجَاتِ العُلا
إكْرَاماً،
فإنّهُ أوّلُ مَنْ كَتَبَ بِالقَلَمِ
كَانَ النّبِي إدريسُ نُوبِياً
جاء من أرْضِ السّودِ

جِئْنَا نَبْحَثُ عَن مِسْبَحَته
هَالَنَا أنْ قَدْ أغْرَقُوا مَعْبَدَهُ
سَأَلْنَا عَمّا جَمَعُوا مِنْ أَغْرَاضِه
أُبْلِغْنَا أَنّهُمْ قَدْ سَرَقُوا عَصَاتَهُ

قَالَ الحَارِسُ فِي المَتْحَف
إنّ المِنْسَأَةَ تَضِئُ لَيْلاً
مَا بَيْنَ الأَرْضِ وَالسّمَاوَاتِ

قُلْنَا:

كُفَّ فإنَّهُمْ إنْ يَسْمَعُوكَ

يُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلُوكَ أو يُخرِجُوكَ.

وَلِمْ،

قُلْنَا:

إنَّهُمْ قَوْمٌ يَنْكِرُونَ الكَرَامَاتِ

لِمَاذَا إذاً يَقْطِنُونَ الوَادِي؟

قَبْلَ أنْ تَكُونَ «تَوْحِيدِيةً»

حَضَارَتُنَا كَانَتْ رُوحِيةً

كُنَّاَ نَتَوَاصَلُ دُونَمَا تَبَرُمٍ

مَعَ السَّمَاوَات

كَانَتْ لَنَا لَمَّاتٌ وَحَضْرَاتٌ

بَلْ وَمُنْجَزَاتٌ عَلَى الأَرْضِ

بَاهِرَاتٌ

وَذَلِكَ قَبْلَ أنْ يَتَكَالَبُوا عَلَيْنَا

وَيُخْرِجُونَا مِنْ مُنْتَدَى الحَضَارَاتِ

يُذِيقُونَا الْوَيْلاَتِ، نَتَجَرَّعُ الإِهَانَاتِ

وَنَشْقَى فِي المَتَاهَاتِ

اليْومَ نَسْألُهُ رَبَّ البَرِيّاتِ
أنْ يُنَجّينَا مِن هَذِهِ الآفَاتِ
وَيُوَلّينَا المُهِمّاتِ: نُصْرَةَ الضّعِيفِ
ومَحْوِ الآهَاتِ.

صَعَقَ البَرْقُ وَأضَاءَ الغُرْفَةَ
فَرَأيْنَا العَصَاةُ مُلْقَاةً
وَالمَلْفَحَةَ مُسْجَاةً
هُرِعْنَا للإمْسَاكِ بِهَا
آمِلِينَ مُتَوسّلِينَ:
رَحْمَاكَ يَا مَوْلاي ....
سُتِرتُمْ وعُوفِيتُمْ ،
فَرَجَائِي
ألاّ تَتْبَعُوا أعْدَائِي
مِمَنْ أسَاءَ إلى أسْلاَفِكُمُ

إدْرِيسُ كَانَ نُوبياً
عَاشَ فِي أرْضِ السّودِ
إدْرِيسُ كَانَ زِنْجِياً

يَصْطَادُ الحُوتَ
غداً يَجْتَمِعُ بِإخْوَتِه مِن كِيلَمَانجَارُو
يَعْفُو عَنْهُم ويَشْكُونَ لَهُ ألَمَ الفِرَاقِ

لِطيَبَتِنَا وَجَمِيلِ سَجّيتِنَا
(نَحنُ أحْفَادُهُ)
يَأنَفْ أنْ يَأْكُلَ أجْسَادَنَا الدُّودُ

(١٢)

الدّكْتُور صِدّيق أُمْبدّة،
اقْتِصَادِي ضَلِيعٌ،
صَحْبِي مِن آبَائِي
حُبِسَ فِي عِزِّ عَطَائِه، لأَنّهُ
لا يُحَابِي
وَلا يَرْضَى بِالمَخَازِي

قَالَ لِي يَوماً:
السّودَانُ هُوَ البَلَدُ الوَحِيدُ

الذي يَزْدَادُ فِيهِ عَدَدُ البُنُوكِ
اطِّرَاداً مَعَ عَدَدِ الفُقَرَاءِ.
قُلْتُ لَهُ:
إنّمَا هِي البُنُوكُ عُمِلَتْ
لِسَرْقَةِ أمْوَالِ الفُقَرَاءِ.
أَوَ لَمْ تَسْمَعْ بِقِصّةِ أَحَدِ الإعْلَامِيينَ «النّابِهِينَ»
الذين أقْرَضَهُمْ بَنْكُ فَيْصَل الإسْلَامِي مَالاً،
....
عِوَضاً عَن اسْتِثْمَارِهِ،
اشْتَرَى بِهِ شَقّتَيْنِ وَسَجّلَهُمَا بِأسْمَاءِ بَنَاتِهِ.
ثم احتمى بِجِهَةٍ سِيَادِيةٍ،
فَأَعْفَتْهُ عَنِ المُسَاءلَةِ القَضَائِيةِ
....
وَلِذا فَهْوَ يُلَعْلِعُ* هَذِهِ الأيّامَ
مُنَافِحاً عَنْ مُعْسِرِي البُنُوكِ
وَالشيكَاتِ الطّائِرَةِ،
هَؤلَاءِ لَيْسُوا مُعْسِرِينَ
هَؤلَاءِ سُرّاقٌ مَاكِرُونَ

نَحنُ نَعْلَمُ مَن المُعْسِرِينَ
عَلَى أيّامِ (سِيِتِي بَانك)
كَانَتْ
نِسْبَتَهُمْ لا تَتَجَاوَزْ العَشَرَةِ
وَهْيَ اليَومَ فِي مَنَاحِي التّسْعِينَ
أنَسُوا أنّ ذلِكَ مَال المَسَاكِينَ؟
أمْ أنْكُرُوا أنّ لِهَؤلاءِ ربٌّ
هُو بِهِمْ ضَنِينٌ

(١٣)

شَجَاعَةُ جَدّي وجدّك حَميّة
شَجَاعَةُ عبدالخالق إيمَاناً بِقَضِيّةٍ
شَجَاعَةُ مَحْمُود
مَزِية، وَسَجِية وحَكْمَة مَرْوية
قَالَ اللهُ: مَن أحْدَثَ تَوَاصُلا بَيْنَ عَقْلهِ وَقَلْبِهِ
أجْلَسْتُهُ فِي فِنَاء القُدُسِيةِ!

(١٤)

الكِتَابةُ إِنَابةٌ... مِن حَيْثُ
أنّها رُجُوعٌ مِن الذَّاتِ
إلَى الذَّاتِ وبِالذَّاتِ

(١٥)

دَخَلَ الحَرَامِي (الفَحْل) كوزي* النّاظِر
جَمَعَ كُلَّ مَا قَدْ بِهِ نَذَرَ

هَمَّ بِالخُرُوج،
بَحَثَ عَنْ البَابِ لَمْ يَجِدْهُ
حَاسَ وَلَاصَ*
لَكِنّهُ لَمْ يَهْتَدِ إلَى سَبِيلٍ
أوْجَسَ فِي نَفْسِه خِيفَةً
أرْجَعَ الأَغْرَاضَ وانْصَرَفَ

الصّبَاحَ تَقَابَلا.........
قَالَ لَهُ يَا وَلَدِي

رَأيْتُكَ أضَعْتَ البَابَ
طَلَبَ العَفْوَ وَتَابَ ثُمَّ أَنَابَ

قَالَ لَهُ : يَا وَلَدِي أَنَا بقْرَأُ يَس
قَبْلَ النّومِ أرْبَعِينَ

قَالُوا: مَنْ لَا يَخَافُ اللّٰهَ خَافَهُ
ومَنْ يَخَافُ اللّٰهَ يُخَوّفُ مِنْهُ

(١٦)

بَادِيَتُنَا كَانَ يَسُوسُهَا أوْلِيَاءٌ
وَاليَومَ يَسُوسُهَا سُفَهَاءٌ
يَلْبِسُونَ الحَقّ بِالبَاطِلِ
يَأكُلُونَ الرِّشَاءَ
وَلَا يَرْقَبُونَ فِي الشَرْعِ جَلَاء

اسْتَخْدَمَهُمْ أهْلُ المَرْكَزِ للتّفْتِيتِ،
للقَتْلِ وَلِلتَشْرِيدِ
أشْقَاهُمْ رَجُلٌ اسْتَعَانَ بِأهْلِ أُمّهِ

عَلَى قَتْلِ أَهْلِ أَبِيهِ
أحْرَاهُمْ مَنْ قَنع بِخِدْمَةِ السّادَةِ
وَلَبِسَ الإفْكَ قِلادَة
سَنُجْلِيهِمْ عَن أَرْضِنَا
وَسَنَعْفِيهِمْ مِنْ إِرْثِنَا
سَنَمْحُوا إثْمَهُمْ مِن صَفَحَاتِنَا
بِحَقِّ مَنْ رَقَدُوا «الحمّيْضَايَة*»
وَمَنْ اتّخَذُوا العَدْلَ وِقَايَةً

(١٧)

الصّينِيةُ
رَمْزُ التّكَافُلِ فِي حَيَاتِنَا اليَوْمِيةِ
تَرَبّعَتْ فَاسْتَطَالَتْ

إذَا حَضَرَهَا وَاحِدٌ غَابَ عَنْهَا الآخَرُ
لَا عَجَبَ أنّهَا لَمْ تَعُدْ
حَرَماً لِتَلقّي التّوْجِيهَاتِ التَرْبَوِيةِ

(١٨)

رَحِمَ اللّٰهُ الاشْتِرَاكِيةَ
فَقَدْ وُئِدَتْ فِي وَقْتٍ كَانَتْ أَحْوَجَ
مَا تَكُون إِليهَا البَشَرِيَةُ

(١٩)

مَا بَيْنَ تسيّسِ السّمَاوِي
وَمُحَاوَلَةِ التّسَامِي
فَوْقَ مَا هُو أرْضِي
هُوّةٌ عَمِيقَةٌ
يَقَعُ فِيهَا الأَشْقِيَاءُ
قَبْلَ الجُهَلاءِ

(٢٠)

شَايِبْ دِقْنُو دَايرَة
طَاوِي عِمّية، وَلَابس بَقَارِية
جَاكِي جِلْكَايتُو* فِي التّرَاب

وَغَازِي فِي الرِّكَابِ فِسية حدية*

تَهَيّبَتْ الوصُولَ إلَيْهِ الصّحَفيةُ
اصْطَحَبَتْ أحَدَ عِيَالِ المَنْطِقَةِ الشَرْقِية
قَالَتْ لَهُ: يَا عَمّي رَأيك فِي المَهْرَجَان شِنُو،
بِالأخَصْ الفَقْرَةِ الغِنَائِيةِ

قَالَ لِيها: يَا بنيتي
عِيالَ مُصْطَفَى التتين
اللّهْ مَا شَنّاهُمْ
عَشّة الفَلّاتِيَة والعب ول داود
غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ

«قِمّة الانْبِسَاطَة!»

(٢١)

نَحنُ مُهددُونَ هويةً
عِندَمَا يَفتقرُ الواحدُ مِنّا بِموتِ قَطيعِهِ*
يَلجأُ إلَى المدينةِ

يَتعلّم صَلواتِها وآذانهَا
ينأى عَن ثَقافتِهَا وَيضجَرُ
خيارٌ صَعْبٌ بينَ المَؤونَةِ والانْتِمَاءِ

(٢٢)

كِدْتُ أختنقُ
كَادتْ أَنفاسِي تَحتبسُ
وَأنَا أُطَالعُ رِوَايةَ الطنطورِيةِ
بَلَغتُ مَوضِعاً اضطررتُ فِيهِ للخُروجِ
كَي استنشقَ الهَواءَ

فَكّرتْ الجِدةُ فِيمَا يُمكنُ أنْ تهديَهُ لِرقيةَ
مَدّتْ يَدهَا إلى صَدرِهَا
تلمّسَتْ المِفْتَاحَ،
رفعتْ الحَبْلَ عَن رقبتِهَا

«مفتاحُ دَارِنَا يَا حَسن،
هَدِيّتي إلَى رُقيةَ الصّغِيرةِ!»

(٢٣)

بَيتُ العائلةِ لَهُ دَلالَةٌ رمزيةٌ
تَستحيلُ إِلَى قِيمَةٍ مَعْنَويةٍ
إِذَا كَانْ أفْرَادُهَا مُتَآلِفينَ
وَقَدْ يَكُونوا أحْيَاناً مُتشَاكِسِينَ
لَكِنّهُمْ مُتَسَامِحِينَ

الحِسُّ وَالمَعْنَى:
يَتَلاحَيَانِ، يَتَشَاجَرَانِ،
مِتى مَا افْتَرَقَا يَنْتَفَيَانِ!

(٢٤)

الحُوتُ؟؟؟

....

عَجزُكَ عَنْ فَهْمِ الظّاهِرةِ لا يُلغِيهَا
لَو تَفكْرتَ لأدْركْتَ
أنّ الكونَ يَشهَقُ ويَزفرُ
بأنْفَاسِ المُحِبّينَ

مُوسِيقَاهُمْ لَحن مِن أَلحَانِ السّمَاء
أوْتارِ مِن القَلْبِ تَدَلّتْ
أناشيدَ بالوجدِ تَجَلّتْ
أَسارِيُر بالحُزنِ تَحَلّتْ

يَا مَبعثَ الرّوحِ وَيَا مُحَيّي الجَسْدِ
هَلْ يَقْوَى الفَانِي عَلَى تَحَمّلِ البَاقِي؟

(٢٥)

أكْرَمَ اللّهُ إمْرَأةً بِالوَلَايةِ
وَأرشَدَهَا سُبل الهِدَايةِ
فَكَانَ لَهَا أَحبابٌ يَتبعُونَهَا،
ضِيوفٌ يَتَكَالَبُونَ عَليْهَا
وَطُلّابٌ

فِيمَا هِيَ تَتَنزّهُ يوماً
رَأتْ رَجُلاً أندلسياً
سَلّمتْ عَلَيه وابْتَسَمَتْ
لَم تَنْتَبِهْ إلّا وَقَدْ أَغَارَ عَلَيْهَا

الحِصْنُ
وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِن جُندٍ يَحْمُونَهُ
وَلَا مُرِيدِينَ يُنَافِحُونَ عَنْهَا
اشْتَرَطَ عَلَيْهَا التّنَصّر فامْتَثَلَتْ،

وَلَبْس الصّلِيبِ
قَالَتْ: دَعْنِي حَتّى اسْتَشِيرَ الأَصْحَابَ!
قَالَا: زينة لَنَا، تَحَسّساً

وَحِرَاسة مِن الأَغْرَابِ

جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا عَلَى سُنَنٍ
تَوارَدَتْ
وَشَرَائِعُ تَتَابَعَتْ
مَكَثَا دَهْراً يَتَلَوّعَانِ
مَضَيَا شَهْراً يَتَمَنّعَانِ

ثُمّ مَا إِنْ انْطَفَأتْ الشّمُوعُ
وَافْتَقَدَ مَوْقِع الطّبْلِ
حَتّى اسْتَحَالَ المحْرَابُ إِلَى مَنصّة لِحُبّ الآخَرِ
وَجَالَ فِي النَفْسِ خَاطِرٌ:

لا يَقْتَحم العَقَبَةَ
إلا مَنْ كَانَتْ لَهُ فِي اللّهِ رَغْبَةٌ

(٢٦)

سَأَلَتْ رَبّهَا بِالوُدّ القَدِيم
وَالفَضْلِ المُبِينِ
أنْ يُجَنّبَهَا درك المتكلفين
أجيبت ....
أنت فِي الحُسْنِ آيةٌ
تَجَمّلِي، تَبَسّطِي، تَرَفّقِي
فَلَنْ تَضُرّكَ الجِنَايَةُ

(٢٧)

أَلَيْسَتْ الظُلْمَةُ مَصْدَراً للنُورِ
وَأَسَاسٌ للرّحْمَةِ اللّتَان جَسّدَتْهُمَا الأكْوَانُ
وَالرّحِمُ؟

عزّ مِن قَائِلٍ:

«يخْلقكم فِي بُطُون أُمّهَاتكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ
فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ»
(الزمر:٦)

(٢٨)

الاصْطِبَار الاصْطِبَار ....
إنَّ الزَّمَانَ أجْمَلُهُ يَنْتَظِرَنَا
رَيْثَمَا نَدَعُ المِرَاءَ
وَنُوَلّي ظَهْرَنَا الأغْيَارَ

(٢٩)

الجَمَاعَةُ أصْحَابُ الرّكْشَاتِ
لَدَيْهِمُ أحياناً قَفَشَاتٌ
نَبّهَنِي وَلَدِي إلَى إِحْدَى مَكْتُوبَاتِهِمْ:
«أنَا حَايمْ والجَلاَّبِي نَايِمْ»
قُلتُ لَهُ:
«الجَلاَّبِي» لَهُ أُسسٌ مِهنيةٌ يَحتكِمُ إلِيْهَا

وإنْ كَانتْ أحْيَاناً غيَر عَادِلةٍ،
أمّا «الجَابِي» فَيعتمِدُ الضّررَ والضِّرَارَ
لِنْيلِ مَكسبِهِ وتَحقِيقِ مَقْصَدِهِ.

قَالَ لِي «بِكُلّ لَمَاضَهْ»:
إن شاءَ اللّهُ تَقدرْ
تقنع سَائق الرّكْشَة بِذَلِكَ
يَا دِكتُور!

(٣٠)

يَنْتَابُنِي إحْسَاسٌ عَميقٌ هَذهِ الأَيّام
بانقضاء حِقْبَةِ الطّيِبين
الذّينَ مَاتُوا دُونَ أنْ يَنْتَبِهَ إلَى دَوْرِهِمْ أحَدٌ
فِي تَشْييدِ أرْكَانِ الفَضِيلَةِ.

مَضَى جِيلٌ
هُوَ
مَزِيجٌ مِن الحَدَاثةِ وَالتّقْلِيدِ

مِن البَسَاطَةِ وَالعُمْقِ
مِن الكِبْرِيَاءِ وَحُسْنِ الخُلْقِ
هُوَ وَفْرَةٌ مِن الحَاضِرِ
وَنُدْرَةٍ فِي التَارِيخِ
هُوَ وَمْضَةٌ
لَعَمْرِي هُوَ عِبْرَةٌ وَعَبْرَةٌ
كَيفَ لَنَا أنْ نَتَحَمّلَ هَذا الإِرْثَ
أوْ أنْ نَقْوَى عَلَى أدائِهِ؟

(٣١)

وَقَفَ فِي مَرَاقِي الشُهُودِ
مَنْ تَحَنّنَ إلَى المَعْبُودِ
بِقَـوْلِـــه
يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ ... يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ

(٣٢)

تَشَاجَرَ رَجُلٌ وَزَوْجَتُهُ منْ أهْلنَا فِي الشَامِ
وَاخْتَلَفا حَدَّ الخِصَامِ

اسْتَعْصَى الأمْرُ رَغْم تَوسّطِ الأَهْلِ

الجَارَةُ قَالَتْ لِصَاحِبَتِها خُذِي مِنْ السّنِينَ العِبَرَ

ارْجَعِي لِزَوْجِك فَإنّهُ صَوْنُك، مُؤنِسُكِ وحِفْظُكِ من المَلَلِ

أرَادَتْ جَبْرَ خَاطرِهَا لَكنّهَا غَرقَتْ فِي الهَمِّ وَتَفَكّرَتْ فِي جَمِيلِ السّيرِ

تَنَهّدَتْ وَتَلَفّتَتْ قَبْلَ أنْ تُبْدِي لَهَا مَا شَاحَ مِن الجُمَلِ

قَالَتْ لَهَا: يَا أُمَّ بَسّام أتَدْرِينَ مَا الخَبَرُ؟

«اللهُ يَرْحَمْ اللِي كَانْ يَصْلِحْ بَيْنَنَا

طِيلةَ هَذِهِ العُقُودِ وَيَحْفَظُ

عِيشتْنا مِن الكَدَرِ.»

....

مُمَارَسَتُكَ لِجنسَانِيتِكَ

هُوَ احْتِفَاءٌ بِإنْسَانِيتِكَ

فَاجْعَلِ الاتّصَالَ حِيلَةَ الابْتِهَالِ



من أعمال التشكيلي محمد فضل

التقيتها بعد عشر خلت

(١)

«نحن أمة تحتقر مبدعيها»

«أرجوكم»

الشعب لا يحتقر المبدعين

الشعب يعشق النابهين

مغلوب على أمره

هذا العملاق المسكين

في الثقافة، كما في السياسة،

متطفلين، وانتهازيين

وسماسرة وقحين

يقفون على الأبواب

ليجيزوا النابهين.

نستنكف أن يجيزنا هؤلاء.

هم لا يدرون

ما انطوى علينا من البلاء،

ولا على أمتنا من البأساء.

نفتقر،

نهاجر،

نغترب

نصبر،

نحترب

أمّاّ أن يجيزنا هؤلاء،

فلا!

(٢)

المخدرات

....

أرجوكم

لا تفجعوا الأمهات،

ولا تلوموا كبار الضباط،

كان السودان معبراً للمخدرات

وهو اليوم أهم المحطات

حبة في الصباح

تنسى

الهم والمهمات

وواحدة في المساء

تؤدي عنك المعجزات.

«أرجوكم»

لا تلوموا الأولاد ولا البنات

فالأمهات في العزاء لاهيات

و الآباء قد اعتادوا العقودات

....

لا تعجب:

فإنه شعب يحب المجاملات

بالله عليكم ماذا أغنت عنا المجاملات؟

(٣)

اعتاد الشعب العيش بين قوسين

وطاب له المقام بين فاتحتين

....

افتح القوس: «الديمقراطية الدينية

اقفل القوس: الدكتاتورية المدنية»

....

فاتحتين:

فاتحة الأنساب وفاتحة الحساب

....

يشتكي،

يتلوى،

يقوى،

.... يهوى

ولكنه يرتاد، ويعتاد.

لا فرق إذاً بين العادات والمخدرات!

(٤)

لا يهتم العقلاء وغيرهم بالسلوكيات،
ولا القناعات الشخصية،
قدر اهتمامهم بالوطنية،
والاستقامة الفكرية،
لكنهم جميعاً لن يتواصلوا مطلقاً
مع شخص خان القضية،
لأنها حينها تصبح
مسألة أخلاقية.

(٥)

التكافل
هو القيمة المحورية في حياتنا،
وهو أيضاً معضلتنا
وآفة نهضتنا!

(٦)

التَقَيْتُهَا بَعدَ عَشْرٍ خَلَتْ

ثَلَاثٍ أهْرَقْتُ فِيهِنّ الدّمْعَ

وَسَبعٍ أطفأتُ فِيهِنّ الشّمْعَ

قَالَتْ:

أُنْشَدُكَ اللهَ

وَهَلْ جَرَى الدَّمْعُ إلاّ مِن هَذِهِ المَآقِي؟

وَهَلْ جَفّ الشّمْعُ إلاّ فِي حِيّزِ التَلَاقِي؟

تَبِعْتُهَا

فِي كُلّ أُنْثَى لَقِيتُهَا

نَدَبْتُهَا

فِي كُلّ شِيمةٍ عَرَفْتُهَا

غَابَتْ عَنْهُنَ فِي التّأوِيلِ

وَشَفعَتْ لَهُنّ التّماثِيلُ

....

قَالَتْ:

خِلْتُكَ نَسِيتَ،

بَعدَ كُلِّ هَذِهِ السّنَوَاتِ
قُلْتُ:
أَأَنْسَى أُغْنِيَةً فِي الأُوبْرَا
سَمِعْتُهَا،
لَو نَسِيتُ القُبُلاَت
«لاَذَتْ بِالحِلْم وَاحْتَشَمَتْ»
أَأَنْسَى كَلَاماً للأَرْضِ سَمِعْتُهُ
أُغْنِيةً كَانتْ،
بَلْ نَسْمَةً
نَشَدْنَا الوُدَّ فِيهَا سَهْواً
وَاخْتَالَتْ العَبَرَاتُ.
«لاَذَتْ بِالصّمْتِ وأَحْتَسَبَتْ»

(٧)

الوصْلُ بَعدَ الهَجْرِ
يَنْسابُ فِي العُرُوقِ
كَالغَيْثِ بَعدْ الهَطْلِ

يَسِيلُ فِي الشّقُوقِ
أُنْبِئنَا أَنّ الأرْضَ
تَحَمّلَتْ عَنْ بَنِيهَا
الأحْزَانَ،
هَالَنَا أنْ قَدْ تَحَمّلَ
عَنْهَا الإنْسَانُ
عَقْداً تُقَرّحَ فِيهِ الوِجْدَانُ
كَقَرْنٍ تَصَدّعَ فِيهِ المَكَانُ

(٨)

تكتسب الحياة اليومية نوعاً من الدراما
وينتفي عنها السأم، ما اختلفت الحيثيات،
لكنها مطلقاً لا تختلف الشخصيات.
النماذج البشرية هي هي.

(٩)

علمت أن الشيخ عبدالرحيم البرعي

«طيب الله ثراه»

كان من الأوائل الذين اعتمدوا سبلاً غير تقليدية لمحاربة الخفاض:

«سالمة» مسرحية أخرجها صديقنا الحلاج إخراجاً رائعاً جعلني انفعل مع كل حركة وسكنة،

أنبأني راعي المسجد بحي المجاهدين وقتها أن كل البنات السالمات في القرية لَزِمن البيوت، أما الأخريات فجاءت منهن الشِّكيات.

(١٠)

النظرة المؤطرة غير المعمقة للأخلاق،

أرهقت إنسان القرون الوسطى،

لكنها

سترهق إنسان الألفية الثالثة أكثر،

لأن الأخير يرى أفقاً فسحياً تحلق فيه كائنات

منعتقة،

فيما تكبل أرجله القيود

وتعشعش الخرافة في خاطره

فلا يستطيع غير الصراخ والأنين.

إنه يموت فتداركوه!

(١١)

يستحيل على قيم

مثل الشجاعة والكرم،

والعفة والمروءة

أن تظهر، ناهيك عن أن تزدهر

في غياب الماكينزمات التي ترعاها

فهذه الصفات

لها متطلبات مصلحية/تبادلية

كما لها مستوجبات فطرية/خيرية.

(١٢)

قبل أن تفيق مجتمعاتنا من هول الانتقال مكانياً،

«من الريف إلى الحضر»،

ومفاهيمياً شعورياً،

«من التقليد إلى الحداثة»،

وجدَتْ نفسها في مواجهة الغول:

فالعولمة قد أحالتنا إلى كائنات ترابية

ذات خصائص أثيرية أو ما ورائية.

(١٣)

التعليم

كان وسيلة المواطنين للخروج من دائرة الفقر،

وهو اليوم الحيلة التي اتخذها الساسة لاستبقائهم فيه.

هذه هي «الداروينية الإجتماعية» بعينها!

(١٤)

عندما أدخل عبود السكك الحديدية

وذلك في بداية الستينات،

عرض على زعيمنا القبلي بناء قصر على الأنموذج الطوبي.

شكرهم

ولم يزل حوشه مزروباً بالكتر حتى كثر المارة وتقاربت البيوت،

فاضطر بنوه لتسويره بالطوب،

لكنهم آنفوا أن يكون لحوشه باب...

.... عزّ على الطلاب أن يكون

لدار (أبو مهيلة) بابٌ.

(١٥)

اشتهر هذا الزعيم بالخير حتى كُنِيّ به.

مما يؤثر عنه

أنه كان إذا أحس بافتقار أحد الرعية،

جمع الموسرين وحثهم علىٍ إقطاع أخيهم
المعسر مالاً،
«بهائم» يصون به نفسه
حتى إذا ما مرت الريح المايلة «أي المسغبة»
رد الأصل وأبقى على الفرع.
....
اعترض عليه أحد أقرانه يوماً بقوله:
أنحن كل ما «قشيري» افتقر جمعتنا،
يا «أبون خير» يا أخوي،
«مرمي اللّه ما بترفع،
ونحن مالنا ما بنكملو في الفقارة ديل.»
رد عليه قائلاً:
«الراجل كيف بِهْنا وأخو كلتان*؟»

لا عجب أن بادية «ابون خير»
كانت أغني بادية في السودان!

(١٦)

فيما تتعدد المداخل
يظل الذوق هو المدخل الأوحد
إلى وجدان الانسان.

(١٧)

المُرْتَدُّونَ لَمْ يَرْفُضُوا حِكْمَةَ مَشْرُوعيةِ
الزَّكَاةِ، إنَّمَا آنِفوا مِنَ مَرْكَزِيتِهَا:
سَجَاح قَضَتْ وَطَرَهَا
وَحَمْدَةَ لَمْ تَنَلْ أَجْرَهَا!

(١٨)

عوضاً عن التوسع رأسياً
اختارت إدارة الأحفاد أن تتوسع أفقياً
بيد أن معالجة قضايا المرأة والمجتمع
تحتاج إلى عمق فلسفي وفكري.

أنا في انتظار كاتبة، صحفية، مفكرة،

عالمة اجتماع، إلى آخره،

لتتخرّج من هذه الجامعة.

إلى حين يحدث ذلك،

أرجوكم افسحوا المجال لنشاط طلابي
ونقابي يهيئ للطالبات والأساتذة
تعلم أسس الليبرالية والعقلانية.

(١٩)

المشهد السياسي الأخير

يبرهن على أن «النخب المركزية»

بوسعها أن تفعل أي شيء

يضمن لها هيمنتها ونفاذ إرادتها،

وبخاصة بعد نفاذ الذخيرة الفكرية لليسار
وافتضاح الايديولوجيا الدينية لليمين.

معذرة! لم يعد ممكناً حصر الصراع

على مستوى أفقي «بين يسار ويمين»،

فقد أخذ التدافع بعداً رأسياً

«بين مركز وهامش».

كلما أدركنا هذا الأمر،

كلما سهل استحداث صيغة للتحكم في
المرابيع الأربعة:
علم اسمه الحِكْمانية، فتعلموه!

(٢٠)

قلت لأحد أصدقائي الأعزاء،

مغترب مخضرم،

كيف استطعتم التوفير في هذه البلاد،

فأنا منذ مجيئي استلم باليمين

وأسلم بالشمال؟

قال لي:
يا عزيزي هناك نظرية عنوانها «٢٠/٨٠»
كان من الواجب إطلاعك عليها،
وهي أننا عندما قدمنا إلى هذه البلاد
كنا نأكل حد الإسراف

فلا نصرف إلا ال٢٠٪ من دخلنا ونوفر الباقي،

أما وقد ضرب التضخم بأطنابه

فلا يسعكم إلا أكل الـــــــــــ ٨٠٪ وتوفير الـــــــــــ ٢٠٪ ، هذا إذا استطعتم

فالنظرية اليوم «٢٠/٨٠»!

(٢١)

آفة الاغتراب

أن أحدنا يفقد الدينامية والحيوية

ويستحيل إلى Robot،

غايته أداء مهام روتينية.

يا لها من محنة!

فقد اضمحلت عرى التواصل

حتى انحسرت كل أسرة على ذاتها،

وكل ذات على شخصها.

(٢٢)

انكب كل خبير على علمه

وكل عالم على مختبره

دون أن يبحث أحدهم عن إمكانية تقديم مادة تبصر المواطنين بخياراتهم العلمية والموضوعية.

صحيح إن المواعين لا تستوعبنا

لكن واجبنا أن نبرئ ذمتنا

لا أن نذم المسؤولين

لأنهم

ببساطة غير مدركين.

كانت بالأمس معاناة تذهل الإنسان عن ذاته، واليوم معاناة أيضاً لكنها من نوع أخر:

فرق بين التحفيز والتعجيز.

(٢٣)

لقد فضح ربع القرن الأخير كآفة ادعاءاتنا.
حريٌّ بنا أن ندرك أننا (ملة) في طور التكوين.

سنصبح أمة

متى أدركنا أن الوطنية مصطلح

يتطلب أكثر من مجرد الانتماء العاطفي، إحترمنا ذواتنا،

وعملنا جاهدين

على تطوير القواسم المشتركة بيننا.

(٢٤)

زار أحد الوزراء المايويين قرية في بلدتنا

أسمها «قِميلاية».

لم يكلف السيد الموقر نفسه جهد السؤال،

بل جزم أن «قميلاية» اسم مشتق من «القمل»، فأمر بتغييره إلى «عسلاية»!

واقع الأمر أن المنطقة استمدت اسمها من قبيلة «القِميلات» التي كانت تقطن المنطقة في غابر الزمان.

لو أن النخب أعطت نفسها فرصة

لتفهم واقع الشعوب التي تريد حكمها،

أسوة بنبلاء الإنجليز

الذين انتدبوا لحكم السودان،

لكنّا في واقع

غير الذي نحن فيه.

(٢٥)

عمنا الشيخ بكري الشيخ ضو البيت

«شيخ من شيوخ قبيلة الطريفية بكردفان»
كان كثير ما يقول لابنه بلّه:

«الطق بلا مِضْراب شغل علّامة»

ليتهم تعلموا بعد كل الخراب الذي أحدثوه!

(٢٦)

كي تبرر هيمنتها على الساحة الفكرية
ومن ثم الساحة السياسية، بحثت
الجماعات النصوصية عن عدو لها
فلم تجد أفضل من ابن عربي
«الشيخ الأكبر بإجماع أهل المشرق والمغرب»
متهمة إياه بالغنوصية، ومستبعدة بالكلية
منظومته الفقهية.

لا غرو، فقد عبر ابن عربي المضيق إلى
أوروبا وأسهم في إثراء فكرها التنويري
وجاهد لإحياء همتها الإنسانوية.

(٢٧)

زعم العلامة عبدالله الطيب «رحمه الله»
أن سبعاً من القبائل الثمان
التي اشتهرت بالحسد في جزيرة العرب
هاجرت إلى السودان.

....

هل تفهم هذه العبارة على إنها استهلال أم استدلال؟

هل هي دعابة أم غرابة؟

أم لعلها دعابة

يراد الاستدلال بها على فداحة الظاهرة وعظيم انتشارها وسط الشعبين.

....

الشاهد في الأمر

أن الاقتصاد الرعوي أو الفلاحي

يمقت التفاوت «التوسع الرأسي»

لأنه يحد من إمكانية التقاوت*

«التوسع الأفقي» كآلية وحيدة ومثلى

لاستدامة واستقرار المجتمعات التقليدية.

(Moral Economy of the Peasant)

(٢٨)

جَال النبيُّ «صلى الله عليهِ وسلم»

بنعلهِ في سدرةِ المُنتهَى،

بيد أنَّ الكليمَ أُمِرَ بخلعِهَا في
الوادي المُقدسِ طُوى.

....

للظواهرِ
مطلوباتُهَا فِي عالمِ الباطنِ،
للتجلياتِ
دلالتُها في حضرةِ المولى.

(٢٩)

وجدت المنظمات الدولية ضالتها في الأنظمة
المتداعية في القرن الأفريقي
فأعطت النصح بالتركيز على الزراعة
المروية، علماً بأن ٧٠٪ من جماهير الشعب
الأفريقي يعتمدون على القطاع المطري
التقليدي.

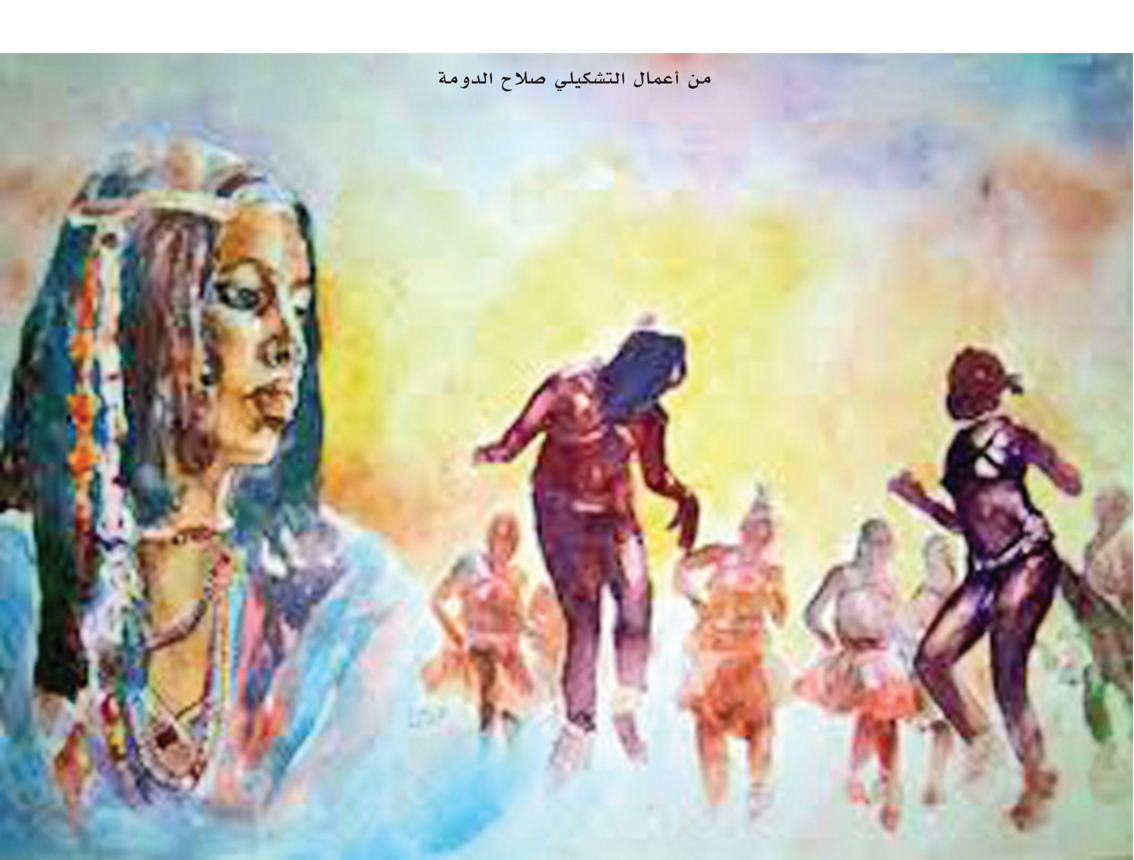
(٣٠)

انتقلَ بهنس مِن عالمِنَا

إِلى عالم تُرصدُ فيه المواهبُ؛

فالإبداعُ ملكة استحالتْ إلى

سلعةٍ فِي عالمِ البرزخِ!



من أعمال التشكيلي صلاح الدومة



لوحة الفنان التشكيلي مظفر رمضان

إياك أن يلتبس عليك أمر حواء

(١)

تلهج قرينتي بالموعظة فلا استوعبها
إلا وهي نائمة!

(٢)

ترفقي بطفلك الصغير وإن شاب رأسه،
فقد تعبت أنامله من كثرة اللعب بالأتاري.

(٣)

لو لم تكن إلا جلستهم تلك، وطواعية
امتثالهم للطاغوت، بل اصطناعاتهم له وهم
صاغرين، إلا جزاءً لهم، لكفى.

(٤)

عقّ الإنسانُ «أمّهُ» فكادتْ
أنْ تُخرجَ أثقالَهَا
لولا دنوُّ الأجلِ.

(٥)

تتقمص الطبيبةُ النفسيةُ حالةَ مرضَاهَا
فلا يكادُ أحدهُم يَتَشَافَى إلا وتجدُها
قد حلّتْ هي مكانَهُ.

(٦)

الحريةُ الجنسيةُ (الإِباحيةُ) هي أخطرُ مهددٍ
للمؤسسةِ الزوجيةِ، بيد أنّها المعزّزُ لشجونِها
والمؤجّجُ لمُجونِها.

(٧)

لا تتأثر بالعَكَرِ،
إلا ما نَدَرَ
علاقةٌ بينَ أخوينِ
خرجتْ مِن مدارِ الجاذبيةِ!

(٨)

تفكرنا فِي الجنةِ،
يُغرينا بالرجوعِ إلى الهضبةِ
مَا أجملَ الأثيوبيات،
وما أقلّ مؤنتهُنّ.

(٩)

قليلٌ مَن يجدُ صنوَ فؤادِهِ،
أقلّ مَن يستطيعُ الاقترانَ بِهِ.
العشقُ مُقاربةٌ أو مُحاولةٌ للتداوِي
مِن حالةِ التوهانِ التي أعقبتْ المشاهدةَ.

فيمَا يظلُّ الكلُ تواقاً،
كثيرٌ هو مَن
يقتلُهُ الظمأُ،
أو يضحي قبلَ
أنْ يتعرّفَ علَى أنيسِهِ،
إنْ يلتقيا
تظلُّ صحبتُهُمَا محفوفةً بمخاطرَ جمةٍ،
أيسرُها انتفائك
وقد شاهدت مَن في الحضرةِ الأولى،
وهَبَ لوجودِكَ مَعنىً.

مَن يُدهشُكَ لا يَعجزُكَ
فأحذرِ الهَوَى أنْ يُتلفَكَ

(١٠)

إيّاكَ أنْ يلتبِسَ عليك أمرُ حواءَ:
مَن التقيتَهَا حالَ المُشَافهةِ،
غيرَ التي التمستَها عنَد الطّفقِ

الأولى فيها جُلُّ ما تبتغِي مِن الاتساقِ
الثانيةُ فيها جماعُ ما تشتهي في الأُنثى

....

فَرْقٌ بين أزيزِ الأرواحِ وطعمِ التفاحِ

(١١)

لَا تتكلّمِي
فإنَّ الصمتَ يُغرينِي
لَا تتبرَّمِي
فإنَّ العنادَ يُغوينِي

أيهُمَا تُريدِينَ:
سَبْحِي فِي مجالِكِ،
(أم)
انتفائِي فِي فضائِكِ؟

عند أهلِ الذوقِ
التلبّسُ أَوْلَى من التحسّسِ

(١٢)

ينافح «الخبير السوداني» عن التعريب،
مستهلاً حديثه بأهمية التعويل
على جَرْسِ «اللغة الأم»
وإمكانيته على تفعيل سيفونية معينة
محرضةً على ازدهار الوجدان.

لا يمكن فصل التعريب عن المشروع
الأيديولوجي
ذاك الذي قضى بتدمير الريف،
وتقويض إمكانياته المعيشية،
لا سيما نفي قدراته الادراكية الحسية
قبل الإنسانية التواصلية.

فها هو محمد أحمد المحجوب
يلقي خطبة عصماء في مطار جوبا،
فلما طلب منه أحد الموظفين الشماليين
الإذن بترجمتها للمواطنين الجنوبيين
الطربين والفرحين بحضوره

رد عليه المحجوب مستنكفاً

«أبوك ما بقدر على ترجمتها»!

الشاهد أن اللغة

كانت الأداة لتقنين الهرم العرقي

والاجتماعي

والوسيلة التي اتبعتها النخب

لتطويع الهامش أيدلوجيا.

(١٣)

الواقع التجريبي

يفترض اكتمال دورة السياسات

والتي تتطلب بالضرورة،

توفر معلومات علمية،

دقيقة ومفصلة

عن الموضوع الذي يزمع تطبيقه،

الإرادة المجتمعية للانخراط المضطرد

في حل المشاكل التي تعتور التطبيق،

والإرادة السياسية لتحويل المعلومات
إلى سياسات وبرامج واقعية ومستدامة.

(١٤)

حالُ الاكتفاءِ،
لا يزيدُ المتاعَ الحسيَّ
إلا بقَدرٍ ضَئيلٍ
فيكونُ ذلكَ مدعاةً للسأمِ
نسبةً لما بذل من جُهدٍ كَبيرٍ.
أمّا الاحتفاءُ بالعقلِ،
فيبعثُ نشوة تُناشدُ الروحَ
بالتدنِّي من عالمِ المَلكوتِ.

(١٥)

الإنسان المعاصر في منطقتنا مسكون بالخوف
الخوف من السلطـة السياسية التي تهدد
بالنفي ...

الخوف من المستقبل الذي ينذر بالعدم ...

الخوف من الماضي الذي طاله التجميل وغيبته حيل التذوير ...

الخوف من العـلم الذي يفضـح الخرافة والوهم ...

الخوف من الأنثى التي طال حبسها في سجن النص ...

الخوف من الإضمحلال الذي بات مهدداً بالزوال ...

الخوف من العقل الذي ظل معطلاً لعشرة قرون ...

الخوف من الآخر الذي يساكنه، فلا يلبث أن يشاكسه ...

الخوف من النظر الذي قد تبرقه الألوان...

الخوف من العارض الذي قد يمطره سخطاً...

الخوف من الجسـد الذي قد يسـخنه شبقاً وولهاً ...

الخوف من التجربة التي لربما إجترت عجزاً وفشلاً...

الخوف من نقمة العلي القدير لأنه - أي الغني
- في قرارة نفسه يحتقر الفقير...
حريّ بمن كان هذا حاله ألّا يبدع ولا يبتكر

(١٦)

سياد الشرك،*
فيمَا سَبقَ كانَ فيهِم جَسَارةٌ
والنساءُ كَانتْ فيهِنَّ نَضَارةٌ.

لَا أدرِي ما الذي حَدَثَ،
لَكّنْ الناسّ ليسُوا هُم.

لعلّهُ الصبغُ
الذي مَسّ الوعاءَ،
أم لعلّها المادةُ
التي لوثتْ الأَجرامَ،
أو هو الضنكُ
الذي وُعِدنَا به حالَ الإِعرَاضِ!

(١٧)

كان من عادة أهلنا،

إذا قدموا على مليكهم

أن يخلعوا أحذيتهم ويضموا السبابة

فلا يبسطوا أيديهم بالكلية حال مصافحته.

ترقّى أحد أبناء الزعيم في سلم التعليم

حتى أصبح أستاذاً جامعياً

ومن بعدئذٍ أنتدب ليكون وزيراً للدفاع.

جاء يوماً في مهمة رسمية لزيارة القرية،

ما إن شارف الوصول إلى حضرة والده حتى خلع نعاله،

عندئذٍ خلع كآفة أعضاء الوفد العسكري أحذيتهم.

أعفاهم الزعيم القبلي من الجلوس على الأرض لكنه لم يعف ابنه من القيام بواجب الضيافة،

بل كلفه بتناول الإبريق ليغسل لأعضاء الوفد أيديهم قبل وبعد تناول الوجبة،

سبب ذلك حرجاً شديداً للعسكريين وجعلهم يتوسلون للزعيم بإعفاء وزيرهم من هذه المهمة.

قال لهم الزعيم:

«الرجل في بيته يتولى مهمة ضيفه.»

أمد الله في عمر ذاك الفتى

حتى صار من أعظم الناس حلماً

وأرفعهم منزلة وأسداهم رأياً ومشورة.

«ذهبت الوزارة وبقيت العبارة!»

(١٨)

وزراء بلادنا، هذه الأيام،

لا تربية أسرية

تُلزم أحدهم التواضع

ولا دينية

تجعل الفرد يوقن

بأن «الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (الأعراف: ١٢٨)

(١٩)

تعمقت التعاليم الدينية في بلادنا
حتي صارت تقاليدَ شعبية،
لم نكن في حاجة لكل هذا الصخب
ولا ذاك النصب.

(٢٠)

مِن سُوءِ ظنّهم باللّهِ،
رجوعُهم إِلى الطاغوتِ،
وقد أُمروا أنْ يَكفرُوا بهِ.

(٢١)

كان الواحد منا يستحي أن يدخل غرفة والده،
ولو كان غائباً،
والآن،
العيال يداهمونك في غرفتك
فلا تكاد تلحق أن تستر عورتك

حتى تجدهم في مطرحك.

هل تسبب قرب المباني في طي المعاني؟
ما الذي يعين الآباء والأبناء على فك الشفرة؟
هل من ربكة يمكن أن يحدثها
ضعف قدرتنا على التواصل؟

(٢٢)

كبسولة المحنة،
تلك التي يتلقّاها الفرد من جدته،
أقدر على ترسيخ المعاني من بسط التعاليم،
رغم حرص الأبوين.

حيث أنها، أي الجدة،
معنية بترقيك، وغير مكلفة بتوجيهك،
كما أنك غير ملزم بالامتثال،
فقط التواصل الروحي الذي يزيل العقبات
ويسهل مهمة التلقي.

والقلوب الرحيمة.

اللهم أرحم والدينا

ووالد والدينا

وكل من له فضل علينا.

(٢٣)

في قريتنا رجل،

اشتهر بالمحنة حتى صار مضرباً للمثل.

أراد أن يتزوج

فكان فيمن عرضن عليه إمرأة مليحة

ذات خلق قويم وأسرة مستورة،

إلا أنها، أي الأسرة، اشتهرت بالجفاء.

استولت علي والدته حالة اقتضت خروجها من وقارها،

فجلست القرفصاء بعد أن كانت مستلقية على السرير

قالت: «رغي البطال ولا رغي الجفا!*»

عِشْتُ حتى رأيت بأم عيني

بصيرة تلكم المرأة

ولم تزل تروعني حكمتها في كل وقت وحين.

(٢٤)

تعاقد رجل الزريبة مع سائق تاكسي سعودي،
فكان يتولى توصيله وصحبه فترة قضائهم
لمناسك العمرة،

فيما كانوا يتحاورون

قال أحدهم ممتدحاً امرأة في البادية مروا بها
وزوجها غائب،

فأكرمتهم المرأة، بسطت لهم الفرشات وهيأت

لهم الذبيحة.

فما كان من سائق التاكسي العجول

إلا أن تطفل مبدياً رأيه

وقال «لو هادي مرتي بدبحها.»

خرج الشيخ عبدالرحيم البرعي عن صمته

وقد كان مستمعاً حتى هذه اللحظة، قال:

«لو مرتي ما عملت كدا، أنا بضبحها.»

«تلافي التقليد»

ذهبت الغيرة بمروءة النساء وأبقت عليها
السماحة والوفاء.

«إنصاف الحداثة»

يجب أن نعمل علي تجسير الهوة الماثلة
بين «صمت النساء وصراخ اللغة»
من خلال التخليص الواعي للغة
من فحولتها التاريخية
وإدماج المرآة داخل أنظمة
السياق الثقافي الإنساني.

ما الذي تود أن تقوله هي عن نفسها؟

(٢٥)

ما إن استحكمت الأنظمة الثيوقراطية
في بلادنا
حتى هرع الخوارج إلى هدم التماثيل
باعتبارها تصاوير

لكنهم كانوا أكثر رحمة بالباشا غردون
من الأمير عثمان دقنة،
فقد رحّلوا تمثال الأول
وهدموا تمثال الآخر.
ألم يكن من الأولى
هدم الأصنام في قلوب عبادها؟
ألم يتخذوا هم من حليهم
عجلاً جسداً له خوار؟
كيف إذاً استحالت القيم الروحية
إلى منظومة قيم مادية؟

(٢٦)

فيما تمضى آلهتنا «التي صنعناها»،
غير مكترثة وغير آبهة،
بتدمير موارد شعبها المادية والروحية،
تعتمد الشعوب الأخرى نظماً
لتطبيق أنظمة رشيدة لإدارة الموارد
تعنى بتطوير برامج للتعاون الإقليمي

الذي يجمع المزايا النسبية
للبلدان التي تملك التكنولوجيا
«أساليب زراعية متقدمة ومدعومة ببرامج
البحث والتطوير»،
رأس المال «الاقتصادي،
السياسي والاجتماعي»،
والموارد الطبيعية «الأراضي، الطاقة والمياه».

(٢٧)

صمد صموداً مدنياً،
لا يقل عن صمود آبائه العسكري.
لم يحقد حتى على أولئك الذين شوهوا
سيوف أبائهم
وأحرقوا مقتنياتهم الأثرية –
سيوف طالما زادت عن حرمة أهل دارفور.
ظل الملك رحمة اللّه محمود
واثقاً من مقدرة الكيان الدارفوري
على امتصاص مثل هذه الصدمات

إذ طالما على قيادته رجال
آثروا المسغبة وتحملوا الحصار
بدلاً عن تلفيق حقائق التاريخ
وتزوير إرادة الشعوب.

لم يحظ برنامج «أسماء في حياتنا»
بمجرد لقاء واحد
مع أفخم رجل خدمة مدينة،
شخصية أهلية سخرت ٧٠ عاماً
من حياتها لخدمة الشعب.
ألم يأن لنا أن نعي بأنه لم يعد لنا حياة،
إنما حيوات؟

لا غرو،
فإن المركزية الثقافية
تسببت في تصدع وجداننا،
لعل الفدرالية الثقافية تنجح في لم شملنا.
نريد لأهل السودان كآفة أن يحتفوا بأبطالهم
وأن يعرفونا بهم فإن معرفة الذات هي السبيل
الوحيد للتواصل مع الآخر.

(٢٨)

«يا يُمّا الزمان ساقني بعيد خلاص
جرعني كاس
واتعذبت وادردرت*
يا يُمّا وريني الخلاص.»

ظننت أن عذابات هذا الرجل

نجمت عن غربة في النرويج أو هونغ كونغ،
فإذا بصديقي «أبو همام» يبلغني
أن هذا الشايقي المُعنّي، ارتحل من مروي
إلى أم درمان.

ياحليل زمن المحنّة والناس السمحين
الذين إذا افتقدوك مرضوا
وإذا قَلَدوك بكوا!

(٢٩)

احتار أحدهم فيما يفعل،

فأهتدى إلى فكرة:

تسجيل شعاري الهلال والمريخ.

من حسن حظ المريخ أن المسؤول عن الملكية الفكرية استطاع التعرف على شعار المريخ فرفض تسجيله، لكنه سجل شعار الهلال!

«الهلالاب» ساوموا الرجل، لكنه رفض، رغبة في المزيد. اضطروا إلى التحايل، فاستحدثوا تغييراً يحفظ لهم حقهم الرمزي ويضيع على الرجل المخادع قيمة المناورة.

آمل أن لا نضطر يوماً لتسجيل

صقر الجديان «شعار جمهورية السودان»،

من دون رجلين، وقد بتر الجناحان.

(٣٠)

ود حبوبة مضى في طريقه لا يلوي

بابكر بدري اختار من الدروب ما هو سوي




ahtimes.com/cover-story-vol-46-no-9a/

نوبيةٌ أغرت رجال الإمبراطوريةِ

(١)

الذنبُ يطفئُ وميض الألق
يَدْخُل المرءَ وادي الخطيئةِ
فَلا يتجاوزُ الظلمةَ
إلّا بالمُناداةِ
يأنسُ للصوتِ الرحيمِ
يركنُ للنداءِ الرخيمِ
يُنيبُ فيُجيبُ،
يُعاهد فيَحنثُ
يَتجاوزُ ذاتَه عتبةً عتبةً
حتّى يقفَ على منصةِ المعافاةِ
والغُفرانِ

(٢)

اليأس عدم اعتراف بمزايا الذات

القنوط ضعف اليقين في حنايا الذات

(٣)

ركضتْ خيولُ الانسِ فِي رَوَابِيهَا

جَفَلتْ مِن هَاوِيةِ العُنُوسةِ

وقفتْ على حافةِ التوحّدِ

أقبلتْ عَلَى مَضضٍ

وَهيّ تُقَهقُهُ فِي بُحيرةِ الرَغبةِ

لم تجد الزوجةُ

أفضلَ

مِن

الاستمتاعِ

بنقيقِ الضفادعِ

(٤)

صَوتُها يُذكرنِي بصهيلِ خيلٍ
ركضتْ فِي غياهبِ الوحشةِ
نَبرتُها نبرةُ أُنثى لم تعرفْ هفهاف الطبيعةِ
جديتُها تكشفُ عن كائنٍ
لم يَدلف مُطلقاً إلى وَاحةِ الآهاتِ،
إنّما اكتفى بمُناجَاةِ الأثيرِ
واختفَى،
ريْثَمَا تكتشفُهُ الأَنَا
أسمعُ طرقَ نعلِها العالِي....
كَعبٌ لَا يجدُ مَن يَهفو إليهِ غيرُ الحائطِ
أترقبُها فَلا أدري أمُقبلةً هي أم مُدبرةً؟
كم هِي مسكينةٌ
هذِهِ المديرةُ!

(٥)

نُوبيةٌ أغرتْ رجالَ الإمبراطورية،
لهَا طاقةٌ روحيةٌ
وهِمةٌ سَرمديةٌ
إذَا انثَنَتْ،
فنجومٌ قد هَوتْ
إذَا ابْتَغَتْ،
فيا ويلَ لِمَن رَشَد
تَتكلّمُ
فتَخرجُ العبارةُ
وَمِيضاً مِن عَيْنَيها
تَتَنهدُ،
فَإذَا القَادةُ
رُكوعاً فِي قَدَمَيْهَا

....

أمرتْهُم بالتجمّلِ قبلَ الاصطفافِ
مَن كَان مَرِيضاً دَاوَتهُ بإبْرَةٍ

مَن كانَ نبيهاً شَاركتْهُ الفكرةُ

أشارت إليهم بالوقوفِ والانصرافِ
حَارُوا وغَارُوا
قَالُوا هِي سَادِيةٌ
بَلْ زَعمُوا أنّهَا تَنشدُ النّجُوميةَ
نَسُوا أنّهَا الغيرية
فَالمجتمعاتُ الشرقيةُ
لا تَحتملُ وجودَ امرأةٍ ذكيةٍ
المرأةُ مطلوبةٌ لتلبيةِ
احتياجاتِهِم العَاطِفِية

....

اعتزلتْهُم،
لم تشأْ أنْ تَحرجَهُم

....

لم تمضِ أيامٌ حتّى
سَمعُوا بِهَا فِي سَاحةِ الاعتصامِ
تُفندُ الأوْهَامَ

وترفعُ الإعلامَ
تَكالَبُوا لِيثنُوها عَن عزمَتِها
بل لم يُرَاعوا رَغبَتَها
فِي المحاولةِ الأخيرةِ
للانتصارِ للشعبِ
وتذكيرِهِ بقيمِ الصُمُودِ.

وجَفَتُ قلوبُ أولاءِ وهؤلاءِ
خَشُوا عَلَيها مِن الهلاَكِ
خَافُوا على أنفسِهِم
مِن الانفضاحِ

مسكينُ هَذَا الشعبُ
مُمَثَلوه هُم خاذِلُوهُ وخَائِنُوهُ

....

امتثلتْ
لَكنّها اعتبرتْ
قَالتْ فِي نفسِها:
كم هُم صِغارٌ هؤلاءِ الكِبَارُ!

(٦)

أشد ما يقهر المرأة
هو التلصص إلى كهفها
والاستغناء عن اقتحامه،
لان المكايدة هذه،
تحرمها من افتك اسلحتها
فتجعلها عرضة للفناء.
ومع ذلك
فهي لن تغلب حيلة
وستحشد كآفة الجند الذين تكاسلوا
في زمن القحط الروحي
والانحطاط الفكري وستصل
إلى نشوتها، بمجرد السماع أحياناً،
مغالبة وقائع القهر التاريخي
ومسترجعة همة «البظر» المعنوي.
وبذلك تكون قد غلبت الرجل،
ذاك الكائن البئيس،

الذي استعاض عما هو معنوي

بما هو حسي، آلة يباهي بها ربعه والقرود!

(٧)

اصطحبت أحد مستشاري البنك الدولي في زيارة إلى «الشقب»، فلما رأى ما توليه الإدارة من عناية فائقة بالخيول العربية في دولة قطر. قال لي بالحرف الواحد «لو خيرت في الرجوع إلى الدنيا ثانية، لاخترت أن أكون جواداً في هذه الدائرة»

ترى ماذا يقول الآخرون!

(٨)

الشيخ عبدالباسط عبد الصمد

- حفيد الجنيد وفخر عيال رزيق -

استمع لتلاوته في الصباح

فأهرع للتلحف بإزاري

مخافة أن تغشاني رياح الخشية

تلك التي تطل على ساكني السماء الرابعة.

انتفض مسرعاً،

أفتح الراديو فأسمع زينة أفطيموس تغني:

كحّل سواد الليل عيونو
عالي النخيل ما ضقنا تمرو
أسمر جميل ما حنّا عمرو
جسمي العليل إستحلى جبرو
شرْع الغرام حاير لأمرو
أسمر جميل فتّان بريدو
كل الخلوق تتمنى ريدو

تتحلل أوصالي فأتمالك

كي لا يشمت بي أهل السماء الأولى،

أنزل الدرج مغتماً

فأرى المستشارة جالسة وممسكة بالمنضدة؛

أعلم حينها أنني قد هبطت إلى اليابسة.

ما بين الصعود والهبوط،

معارج للتخفيف

ومنصات للتكليف

(٩)

شهدت الخمسين سنة الماضية

صرفاً سخياً على التنمية في العالم العربي،

ودول شمال إفريقيا،

قُدر بثلاثة ترليون دولاراً.

قسمت علي النحو التالي:

ثلث للبنية التحتية

وثلث للتسليح

وثلث للرشاوي

لن تحتاج إلى عقل حسابي حتى تعلم بأن المجموع يتجاوز الواحد بقليل!

(١٠)

الرشوة أو المحاباة، تحالفٌ بين السلطة ورأس المال في أعلي مستوياتها «وتسيباً في أدناها» يغري بتخطي النظم الاحترافية والمهنية، يجعل المجتمعات علي حافة الانهيار الأخلاقي، والفكري والروحي،

إذ يورثها الغبن، الوهن، البغضاء،
التخلف وسوء التخطيط.

(١١)

المهرجانات الثقافية
التي تقام في جزيرة العرب
هي عبارة عن مناشط زخرفية
الغرض منها خلط التبر والتراب

بيد أن الحُتْرب*
يترسب في قعر الماعون
وذلك بعد، وليس قبل الخَضِّ

(١٢)

استقال المثقف العربي
من وظيفته منذ زمن بعيد
وأصبح سائحاً تستهويه سكنى الفنادق

وارتياد المطاعم

يخشي، إن هو أبدى رأيه،
ألا يُدْعَى مرة ثانية!

(١٣)

لا بد من التعامل مع التحولات السياسية والاجتماعية في المنطقة تعاملاً منهجياً ينأى بها عن المزاجية/العصبية التي تزيد من حدة الاستقطاب، توفر قناة للتفاوض مع «العفاريت» أمراً جاداً ويساعد على تحقيق الاستقرار أكثر من استبعادهم.

(١٤)

بشرط نَافلٍ في مجالِ العلم
فإنَّ القائلَ هوَ ضميرُ الفردِ الحَرّ
وصفةُ قولِهِ هو الصدقُ والصراحةُ،
لكن فيما يخصُّ الإيمانَ،
فَلا مَعنَى لقولٍ صادرٍ
عن قلبٍ غيرِ صادقٍ.

(١٥)

تبرز قضيتا الخطابة والمقدرة الكلامية لتضفيا بريقاً على الخطبة التي تفك شفرة اللغة لإيصال المعلومة المستندة على الموضوعية والرصانة، لا الإمعان في تبسيطها حد السبهللية كي يتعاطف المستمع مع خطاب عشوائي، خالٍ من الحصافة والأدب، لا سيما المنطق والموضوعية.

يخطئ الطغاة، إذ يعولون على بدائية الشعوب العاطفية، لأن الأمي يدرك بحاسته ما لا يدركه المتعلم ببصره وعقلانيته.

(١٦)

بينما كان عمنا حسن إبراهيم

«شيخ منطقة كرنقل/كبكابية/شمال دارفور»،

يتوضأ كان أحد العسكريين يعد العدة

لإذاعة بيانه الشهري.

فلما فرغ من وضوئه سأل «يا عيالي دا منو؟»

قالوا الرئيس.

قال: «الزول الماسك البلد دا كله؟»

قالوا : «نعم»،

قال : «والله دا ما حاكم، إلاّ مُتعَمّدْ ساكت!»

(المتعمد في لهجتنا العامية يعني الغشيم)

(١٧)

ما يغري هؤلاء الطغاة هو الوضع الهلامي الذي تخلفه الشروخ الهائلة وانعدام التواصل بين الدائرة العلمية البحثية، والدائرة السياسية بمعناها المهني والأخلاقي ومساهمة المجتمع المدني.

فالإعلام إيهام،

والحروف أرقام،

والوعد طوفان،

والفكرة نسيان،

والشجاعة طغيان،

والختل نقصان،

ولو لم يكن كل ذلك، ما انفض سامر الحي

عن مشروع الوهم والتوهان.

(١٨)

لقد غابت روح النص

واستحالت

الشريعة إلي مصفوفة قانونية

يلوح بها حراس الأرثوذكسية

باسم الوسطية أحياناً

لتخويف الناس،

بعد أن كانت قيمة عدلية

يتحقق بها التكافل

والتكامل السياسي،

الاقتصادي والاجتماعي.

(١٩)

ما فتئ الطواغيت في جميع العصور يحترسون من مثل هذه الأفهام حتي أرْخَوُا العنان لكافة أنواع التسلط التي تكاتفت لوأد الحرية

الشخصية وتعاضدت لحرمان الجماعة حق مناقشة المشروع الأخلاقي، الذي يُرجي منها الالتزام به.

لا عجب أن هذا الامتثال غير الواعي قد أفضى إلي آفات، يتندر اليوم الناس بها ولا يعملون على تحليلها وتفنيدها.

إذا غابت السلطةٍ فهناك سوط الرقابة النفسيِة الذي ظل قامعاً للتفكير، قبل أن يكون رادعاً عن التعبير.

(٢٠)

لا يمكن لأمة أن تبتكر

أو لحضارة أن تزدهر

إلا إذا انتفض الضمير مزدهياً بحيوية أفرادها ومُحتفياً بقدرتهم علي مغالبة الهوى ومنازلة الطاغوت.

(٢١)

الدبلوماسية هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تدفع بها الدول الكبرى وجمهورها المتمدد والمتراخي لتعديل طريقة التفكير في مستقبل نمطها الاستهلاكي الذي لا يتسبب فقط في نضوب المصادر الطبيعية للطاقة، وإنما أيضاً يؤجج حدة الصراعات العسكرية ويزيد من وتيرة التقلبات السياسية والاجتماعية في العالم بأسره.

(٢٢)

لا سبيل لاستقرار الشعوب وتنعمها بالسلام إلا بتوفر وعي أخلاقي ينشد الإنسانوية، على المستوى الثقافي، كأساس لتحقيق التكافل الاقتصادي والسياسي.

توفر هذا الوعي لازم لتحرر جميع الشعوب، وليس فقط الشعب الفلسطيني الذي عنته السماء بخوض معركة التحرر نيابة عن البشرية جمعاء.

(٢٣)

الدستور يعني الإحكام الاقتصادي والسياسي لمهمة الانتقال الوجودي من كوننا جماعة مؤمنين إلي كوننا دولة مواطنين:

إنسان سياسي لا يتحقق اجتماعياً إلا من خلال انتمائه لدولة مواطنة، إنسان مدني، عضو في جماعة إنسانية تتجاوز مفهومية الدولة.

(٢٤)

مشروعية الحوار وحتمية تداول السلطة الديمقراطية توافقياً، تقتضيه مطلبية السياسة الكوكبية الإنسانية العازمة علي نزع القدسية عن الدولة وعن الزعيم وتوزيع صلاحيتهما علي المجتمع حتي يستطيع طرح القضايا من منطلق فكري وليست من منطلق عقدي.

(٢٥)

إذا كان مفهوم الحاكمية يعتمد الامتثال والطاعة فإن الحكمانية تعتمد التنافسية

والاختيار كوسيلة للتعاقد وفرض شروط الانتماء.

إذا كانت الحاكمية تؤطر الممارسة في مستوى الإسقاط للحلول، فإن الحكمانية تعتمد السبل التجريبية لاستنباط الحلول وتكيفها علي مستوى الواقع الذي تقرره قوة الدفع، القوة المدنية الشعبية، أكثر مما تقرره الممارسة النخبوية الفوقية.

(٢٦)

أيقن المواطنون بالتجربة أن الحضور المؤثر والفاعل لهوية المجتمعات المسلمة لا يستند على حتمية قانونية أو حتى دستورية إنما تتمثل قيم الإسلام الرقيقة والشفيفة في الممارسة.

«راجع كتاب الأستاذ محمد عوض عبوش عن الهوية»

(٢٧)

مسرحية «النظام يريد»
جسّدَتْ بابتذال شديد، واقع الدولة التي تريد
تخطى واقعها لتبني رؤى عالمية.

قد يلجئها ذلك أحياناً،

إلى محاولة استبدال المجتمع،

خاصة إذا لم تنجح في تطويعه.

(٢٨)

إن بعث روح التضامن وضمان فاعلية التنسيق
رهين بهامش الحرية المتاح، لا مركزية
الحوار، وتوفر منصة معنية بالسياسات وتبيان
السبل الموضوعية والعلمية لترجيحها،

الاهمٌ هو وجود رؤية أخلاقية تعين المواطن
علي مغالبة اليأس وتحفزه علي استشراف
مستقبل أرحب.

(٢٩)

من علل الإسلاميين السودانيين المزمنة

أنهم، حتى هذه اللحظة،

وبعد أكثر من ربع قرن لممارستهم السلطة،

لا يرون حرجاً ولا يحسون وخزاً في الضمير جراء استبعادهم لشتى الكفاءات الوطنية، إنما يتبرمون أشد التبرم

جراء استبعاد إحدى فصائلهم المستهلكة لهم.

(٣٠)

ظل العرب في شمال إفريقيا، لأمد طويل،

يعيشون حالة من الذهول

جعلتهم يتصورن المسيح

على هيئة عسكري يلبس «عباءة».

عرفها طلاب جامعة الخرطوم فهتفوا يومها غاضبين

«كضاب كضاب الجبهة تحت الكاب»!!



لوحة للتشكيلي فريد فاضل

العين نافذة الروح

(١)

العينُ نافذةُ الروحِ،
النظرُ إلى مومسٍ والتمعنُ فِي مرآتِهَا
يُريكَ جميعَ ما عالجتْهُ خُطاهُم مِن خَطَايَاهَا

(٢)

تَتأوه المرأةُ بقدرِ مَا يعتلجُ صَدرَها مِن أسرارٍ
تَنفسِحُ بقدرِ مَا يجتاحُ خِدرَها مِن دَلالٍ

(٣)

يَحتشدُ السرُّ
مَا بينَ الخاصرةِ والفؤادِ
فَلا يَتنزلُ الكلِمُ

حتّى يَتحررَ مِن الرقابةِ
ويَنجوُ مِن عَسَعس الوزنِ

ينسكبُ الماءُ عَلى الوادِي
فتستحيلُ الأشجارُ شُموعاً
والأوراقُ وعوداً
يصطفّ الأهالِي الطيبون
عَلَى الضّفتيْنِ
مُنشِدِينَ
ومُبشّرينَ
بميلادِ قَصيدةٍ
ومنشأ دوحةٍ
اسمُها الحريةُ

(٤)

النقابُ هُو المُعادلُ المَوضوعِي
لوأدِ البناتِ فِي العصرِ الحديثِ

(٥)

حضرت حفلات مؤخراً غني فيها غلمان
أغاني مؤذية للوجدان.
عجبت عمّن تكبد كل هذا العناء
كيف لا يتعاقد لعرس بنيه مع ملك الحقيبة،
عوض الكريم عبدالله، وهل هناك غيره؟
رد الله غربة الوطن بعد هجرة بنيه من
مبدعين، مقرئين وعلماء نابهين.

(٦)

هنالك غرابة في اغتناء الوزراء ورؤساء
الإدارات الأمنية بأموال التنزيل،
إنما العجب الأعجب
هو تباهيهم بذلك!

(٧)

باعتناقهم عقيدة الاغتراب،
أضاع السودانيون على أنفسهم
فرصة الانخراط في مجتمعات المهجر،
وفوّتوا سانحة الاستثمار الحيوي
في اقتصاديات تلكم البلاد،

أما وقد تبعثرت أحلام البلد الجميل
الذي يضم الجميع ولا يضنٌ علي الكَل،
فهم الآن يستثمرون في الوقت الضائع!

(٨)

لن تكتب حتى تمسك بالقلم،
ولن تمسك بالقلم حتى تتحصن
من وهم الفكرة الصائبة!

(٩)

شهق الأستاذ الجامعي

عندما رأي بيت أحد زملائه مكوناً من طابقين وأعتبر ذلك تطاولاً في البنيان. كان ذلك في السبعينات. تشاء الأقدار أن يصير الأستاذ المتواضع شيخاً في الثمانينات، فيصبح من بعد زعيماً لحركة إسلامية نافذة.

في محاولتهم العجلى لتوفيق أوضاعه المعيشية لم يشأ «الأتباع المخلصون» الالتزام بإجراءات الإسكان التي يتبعها أقرانه من الأساتذة، فيكونون تحت رحمة القرعة،

فاشتروا له أرضاً في حي فاخر، وبنوا له أربع طوابق متواليات؛ توسعوا في الأرض المجاورة وبنوها له مكتبة. ليس هذا فحسب، إنما استصلحوا له في الحارة المقابلة موقفاً للسيارات!

من لطف هذا الزعيم،

أنه سأل عن صاحب الأرض الأولى

فأبلغ

بأنه مولانا أبيل لير.
استعجب وقال:
ما هي حاجته لبيعها؟

(١٠)

يبيع الجنوبي المسيحي أرضه
ليقوى على كفالة أقربائه الضعفاء

يزيل الشمالي المسلم
كل نظم الشفافية والمحاسبية،
كي يغتني أتباعه،
وبسرعة من قوت الفقراء
ألم يأن لنا أن نعيد النظر في
منهاج المحاصصة العقائدية تلك؟

(١١)

لا يحتاج الجنوبيون إلى شيء،
قدر احتياجهم إلى رئيس مدني

ينتمي إلى قبيلة المهنيين

أو الخبراء المختصين

دلت التجارب

علي أن الانقلابات

عالة على المؤسسة العسكرية،

قبل أن تكون كارثة على الحياة المدنية

(١٢)

سأل صحفي، عشية يوم الاستقلال أحد كبار النظار عن رأيه في تلكم الخطوة التاريخية

فرد عليه مغتماً:

«يا وليدي، الإنجليز طلعوا خلونا ذي اللوري، لا نور لا بوري.»

لو بقي الإنجليز ألف عام ما كان ذلك ليغنينا عن التدافع ومآلاته، وما كينيا منّا ببعيد لكنهم كانوا سيضمنون لنا، ولو نسبياً،

نوعا من التكافؤ في المعترك!

(١٣)

الإقصاء وعدم اعتماد سبل التدافع المدني
سيزيد من حالة الاستقطاب في العالم العربي
ويجعل من الصعب الوصول إلى مستوى من
النضج الذي يلتزم فيه اللاعبون بقواعد اللعبة،
بل ويوقنون بجدوى الإبقاء على الحكام
ورجال الخط سالمين من الإعاقة.

(Politics: A Zero Sum Game)

(١٤)

زعمت السلطة المركزية أنها حررته
وقد كان سيداً،
بحكم ما عبق في صدره من المكارم.
لم يزل أبونا فضل السيد
وفياً للبيت الذي رباه،
بل هو من القلائل الذين حفظوا الجميل
وحمدوا المعروف.
كان في ما قاله لي قبل وفاته
أن قشعريرة تتملك كفه اليمنى

عادة قبل ثلاثة أيام من حصوله
عطية من اثنين من الخيرين.
تفسير مثل هذه الظاهرة
يعتمد على إبستمولوجيا
تقر بالبعد الروحي الميتافزيقي
في تفسير الظواهر الطبيعية،
إذ إن استبعاد مثل هذه الظواهر،
على أنها خرافة،
يفوت علينا فرصة التعرف
على أكثر الأبعاد دينامية في حيواتنا

(١٥)

البيوت أو المجتمعات
التي تعاني من حالة ارتخاء عصبي
أو ذهان هذياني
تخرج أشد الناس تطرفاً
«من ذات اليمين وذات الشمال»،
أمّا المتوازنة نفسياً وعقلياً

فتخرج أنسب الناس توسطاً.

يبعث أحدهم ابنه إلى الغرب

لينهل من علومه وحضارته

ويتتلمذ على مشايخه

فيرجع سلفياً قحاً،

يبعث الآخر إلى بؤرة التزمت

فيتخرج ليبرالياً حد الانحلال

حار الآباء والأمهات، وقد كان حريّ بهم أن يدركوا أننا مجتمعات تعيش حالة من حالات الانفصام العظمى بسبب تقلدنا لمظاهر الحداثة وتمنعنا عن استيعاب الأسس الفلسفية والفكرية للانتقال

(١٦)

وأنا ذاهب إلى العمل صبحاً،

رأيت امرأة تدخن،

تطّلعت، فإذا بداخل السيارة أطفال،

يلهون ويلعبون

اغتممت لمّا رأيت أُخرى،

تدخن وهي حبلى،
فلا يملك سجينها الفرار.
إنما التغذي بالتبغ
والموت حتف أنفه من الاختناق

(١٧)

أسميت ابنتي الصغرى على والدتي،
فلم تتجاوز الثانية، حتى تقمّصت روحها،

هي تطرب للقاء الأضياف
وتنهمر الدموع على خديها
عند سماع الألطاف
رحم الله أحفاد (كنز الدولة)،
تكالبت عليهم الأعراب حتى أردتهم
وقد كانوا الأولين عند منعطف اللواء

(١٨)

كان الشيخ عبدالرحيم البرعي، يتحلى بأمانة علمية جعلته يحيل ٩٩٪ من الحالات التي عرضت عليه في حياته إلى الاختصاصيين النفسانيين، فيما يعتني برعاية الباقي من حالات الريح الأصفر أو الأحمر.

ما أعظم حاجتنا لاختصاصي الطب النفسي وما أقل عنايتنا بهم!

(١٩)

أُغْشِيَ عَلَى الكليمِ بسببِ التجلِّي،
لم يَزِغْ بصرُ النبي (صلي الله عليه وسلم)
ولم يَطغَ رغمَ المُشاهدةِ.
خصائص الذاتِ النورانيةِ
عنيت بالمحمُودِ
ظلَّ المَشهدُ الإلهي
غارَ بالتابوتُ

(٢٠)

لَولا الإلهامُ
لضنّنا بالمئونةِ
وَلأعيتنا هِمةُ التكاثُرِ

(٢١)

يعلنون عن الانتخابات في هذه الأيام، كأنما البلد يفتقر فقط إلى برنامج انتخابي من المرتجى أن يأتي به سياسيون ضليعون، وقد استقرت هياكله المؤسسية والدستورية واستبانت له سبل الخلاص الوطني.

(٢٢)

إن فشل المشروع الأيديولوجي من شأنه أن يدفع النخب نحو التوسط ويوقظ أخري ظلت خاملة حتي حين، ويجعلها توقن بأهمية الانبثاق القاعدي للمشروع التنموي.

سيما أن الجماهير

قد أصبحت سيدة الموقف

وراعية الطلب في التنمية، والحرية والرخاء.

(٢٣)

مع كونه خلق أصيل لديهم فالتهذيب
وسيلة يحصن بها الجمهوريون فكرتهم
أحياناً من التصويب.

أما وقد شرعوا في تسجيل حزبهم
فالفكرة لن تُنَزّل لكنها ستمرر:

إجرائية اتخاذ القرار ومشروعية تداوله
أولى من مخرجاته الوسيطة والأخيرة،
على الأقل في هذه الحالة.

(٢٤)

بصوت ينم عن الحسرة وبحة تحكي مبلغ
الأسى، قالت مذيعة مونتى كارلو، في يوم
المرأة العالمي، إن عدد النسوة اللاتي يقتلهن
أزواجهنّ، أو يغتصبهنّ أولياء أمرهنّ أو
يتحرش بهنّ زملاؤهُنَّ، في ازدياد مضطرد في
العالم، لا سيما في الغرب الرأسمالي.

يلزم التنويه على أن الإصلاح في بنية الاقتصاد مدخل مهم لكنه لا يغني عن تفعيل منظومة القيم بطريقة تحدث توازناً روحياً ومادياً في المجتمعات، ليس فقط قانوناً ينصف النساء في المحاكم.

تتضافر جميع العوامل
لتحد من إمكانية المرأة للانعتاق
في الشرق، الإسلامي منه خاصة!

(٢٥)

بداخلِك ذكرٌ وأُنثَى
فاستمتعِي بأيّهما شئتِ

صفات القهريةِ تَحرسُكِ
وتلك الأنسيةِ تؤنسكِ
فاحذرِي حبيبتِي
أنْ يَشتجِرَا
أو يَختصمَا

(٢٦)

تملكُ المرأةُ الذكيةُ مِهمّازاً
تُفعِّلُ به المربوعَ المُعطلَ
من عقل الرجل الخمسينِي،
وقد تَتعمّدُ أنْ لَا تفعلَ

(٢٧)

أفهم حاجة العامي لإيجاد مبرر ديني لكل تصرف يقدم عليه، لكنني لا أفهم، بل يزعجني تقلد «المتعلمين» لمنطق يحرمهم براعة الإبداع في كل شأن من شؤون حياتهم

لو أن الأطباء والمهندسين، إلى آخره،

آلوا على أنفسهم، لاستطاعوا إخراجنا من زق التداول المنحاز الذي فرضته منظومة القرون الوسطى

(٢٨)

عرض الصينيون على جعفر نميري عرضاً لم يكن لقائد أن يرفضه، وبخاصة في ظل الضغوط التي تعرض لها، بإعطائه أسلحة متطورة يمكن أن يخمد بها التمرد مرة واحدة.

رفض النميري أسلحة الدمار الشامل بحجة أن الجنوبيين والشماليين إخوة مصيرهم أن يتحدوا ولهذا، فهو يحبذ أسلحة تجعل المشاة يرهقون قبل أن يجهزوا على أخويهم

صدق المثل القائل:

« أخوك لو كتلك* بجرك للضل»

(٢٩)

اشتكى أحد المزارعين إلى ابن أخيه المقيم في أمريكا اجتراء الفئران على مزرعته.

بعد استشارة أحد العلماء الأمريكيين تم الاتفاق على إرسال فأرة إلى الحقل المأزوم. استغرب العم هذه الفكرة، لكنه أذعن ريثما تأتي التكنولوجيا بأعجوبة تعينه على التخلص

من الفئران التي التهمت محصوله بشره متزايد.

ما أن توسط العم الحقل حتى أطلقت الفأرة الأمريكية أزيزا كهربائياً تداعت له سائر الفئران.

ما إن تحلقت الفيران حتي أصدرت الفأرة المستوردة صوتاً مُدوياً انفجرت من بعده مودية بحياة المعتدين الآثمين.

انشرح صدر العم محتفياً ببراعة ابنٍ أخيه، لكنه سرعان ما استأنف قائلاً:

«دحين يا ود أخوي ما عندكم واحدة عندها دقينة صغيرة!»

(٣٠)

في الوقت الذي يطلق فيه قياديو الإنقاذ «مبادرة أهل الله، للحد من الصراعات القبلية»

يعتمد الخبراء العالميون أسلوب التخطيط الاستراتيجي المبني على النتائج في تحقيق التنمية المستدامة.

هل أصبح الإيمان بالغيب لدى البعض وسيلة لتغييب الحقائق؟

(٣١)

كَتَب التيجاني يُوسف بَشير فِي قصيدةِ (اليقظةِ) قبلَ قرنٍ من الزمانِ عن الثُقبِ الأسودِ (Black Hole)

قائلاً:

فِي الليلِ عمقٌ وفِي الدُّجَى نَفَقٌ

لو صُبَّ فِيهِ الزمانُ لابتَلَعَهُ

لو أفرغ الفجر ذو الجوانب في

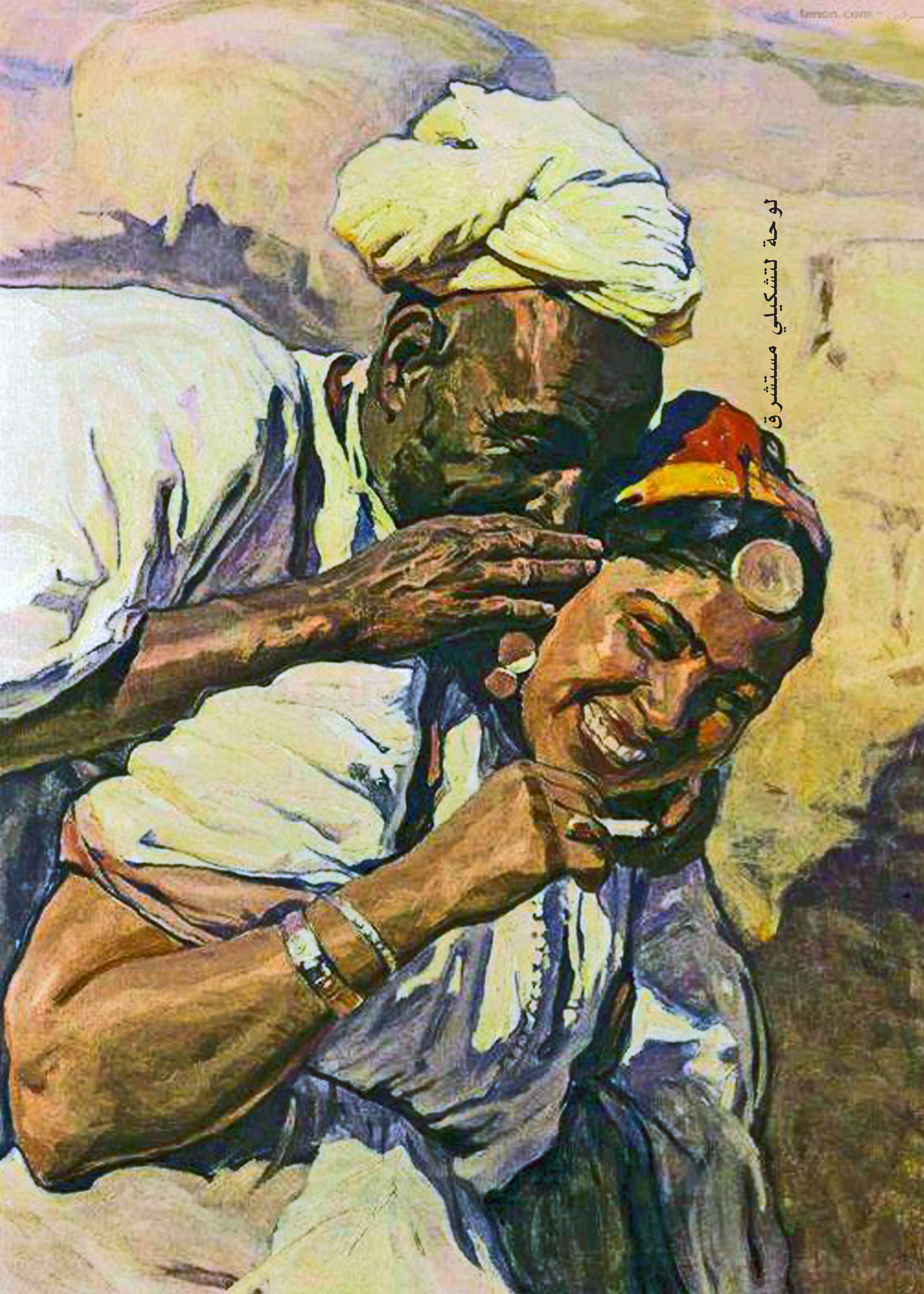
أدنى إناءٍ مِن عندِهِ وَسِعَهُ

لَا تعجبْ:

فإنَّ مَن تَعادلتْ عندَهُ الأشياءُ

عاينَ مِن فوقِ الشرفَةِ

وذاكَ أمرٌ يُدركُهُ الأصفياءُ قبلَ الأتقياءِ



لوحة لتشكيلي مستشرق

همساً اسمه الحب

(١)

أرشفها

وأنتظرُ الحلمَ

سَهلاً تَخضوضِرُ

فيهِ المعانِي

وينسكبُ حلوُ الخاطرِ

بالوجلِ

وما قد ينهالُ

مِن الشجنِ

....

تنثالُ يداي عَلَى ظهرِها

فيجأرُ التلُ ويَنخفضُ

مُنفعلاً بأريجِ اللطفِ

وَعُنفوانِ الرغبةِ

....

ينفسحُ الفرعُ فأخالُ

أنفاسَها بَرداً يغارُ

مِن حمو المُداعبةِ

أستظلُّ مِن وهجِ الطبيعةِ

فآلف ظريفاً

قَد جَاوزَنِي

إلى كهفِهَا

وأجارَنِي من لهفِهَا

....

شَهدتْهُ في غيرِ

ما غَارَة

مُشتاقاً تنهشُهُ لهُاهَا

مُستاءً تلفظُهُ عُراها

زجرتْهُ في غير جَدَوى

مُتوهجاً ترغبُهُ رُباهَا

مُغتاظاً تطردُهُ رحاحها

انتابنِي شعورُ بالوهنِ

كِدَنا نفترقُ لولا
تَنادِي السُحبِ وانكسافِهَا

....

ضحك البرقُ
فأجالتْ الطبيعةُ الرهقَ
تَخففتْ مِن ثقلِ الترائبِ
فانسكب ماءُ الرغائبِ
ارتعشتْ فرائصِي الحسيةُ
انفعلتْ همتِي الروحيةُ

....

بَاشرْتُها بِكاملِ مُهجتِي
استعذبتُها
لفظاً في خلوتِي
وهُتافاً في حيرتِي:
همساً اسمُهُ الحبُّ .....
أُحبّكِ
أُحبّكِ
أُحبّكِ

(٢)

بقدرِ الإنابةِ تنتفضُ الروحُ مُتألقةً،
كَأنّها لم تُعانِ قبلَ مِن ذِي علقٍ

بديعٌ هذا الإلهُ الذي نعبُدُه
لطيفٌ هذا المعبودُ الذي ننشدُهُ

(٣)

"يا إلهي أنت عزّي وأنت جاهي»

كلمات سمعتهن من عبدالناصر بنداوي، أخي وصديقي الجزائري الذي سافرت من ولاية ميتشغن لعيادته في شيكاغو، كان وقد ابتلى عام ١٩٩٣ بمرض السرطان.. يعاني، ولكن معاناته الأشدّ كانت عدم تمكنه من السجود نتيجة الإعياء.

قال لنا بعد أن آفاق من الغيبوبة:

لا تذرفوا عليّ الدمع فأنا نازل في المحطة القادمة، ولكن ابكوا على ما فرطتم فيه من الصلوات، فإنهن الباقيات!

(٤)

شرفنا الناظر أحمد السماني، ناظر الفلاتة في مهرجان الضعين الثقافي، فأهديته جواداً من سلالة العظيم «Danzig».

حمدها لي، شكرني، بل بالغ في مجازاتي، فنذر إن أنا زرته في تلس (حاضرة الفلاتة في جنوب دارفور) أن يزوجني بواحدة من حرائرهم.

مرت الأيام دون أن أتمكن من زيارته، فالتقينا في الخرطوم، ذكرني بنذره وقال «يا وليدي كان الموضوع داك مخوفيك فأنا عافيك»

قلت له: يا عمي الناظر نحن الأفندية ديل معافرتنا بالأقلام، ما دام ما عرفتها فأنا موافيك.

ضحكنا وافترقنا علي أمل، لكنه لم يزل متعجباً من صحبتنا نحن الأفندية لواحدة نبيض يوم أن تبيض ونحيض يوم أن تحيض!

(٥)

المرأة الشرقية تلبس «الكعب العالي»
في «المولات»
والغربية تلبس الحجل
مع الشورتات

قلّما تستقيم الأفهام أو ترتقي الأذواق
عند الانتقال عبر الثقافات والقارات

(٦)

كلما اتجهت الدول نحو الاقتصاد المبني
على المعرفة كلما قلت حاجتها للاستعانة
بالكوادر المهنية من عالمنا.

هل قدر البشرية أن تنفصل قاطراتها الشمالية
عن تلكم الجنوبية؟ هل نحن مستعدون
للتداعيات السلبية لهذا التشظي؟

ما الذي يلزم فعله لتحقيق الشرط الاجتماعي
والثقافي للنهضة العلمية؟

(٧)

من عَنَت «الانقاذيين» أنهم استحدثوا وزارة ثقافة وسياحة في دارفور، فلم يجد الوزير المختار بُداً من توثيق مبادئ الإبادة العرقية كثقافة سائدة والتطواف بمعسكرات النزوح كسياحة غير لائقة.

ليس ذنباً أعظم عند اللّه من شهادة الزور في مثل هذه الظروف

(٨)

النساء يذهبن إلى أمريكا الشمالية، يتعلمن، يرتقين ويحترفن مهناً مختلفة فلا يلبثن أن يفهمن تنمية الذات النسوية وشحذ همتها الإنسانية على إنها تمرد على الرجل.

وقد كان حريّ بهن أن يتخذنه شريكاً في محاولة الانتصار الموضوعي على قيم الاستبداد كآفة.

تغضب العمة التومة علىالرفيق توم فتضرب المسكين جيري!

(٩)

عندما أقرأ في الصحف أن الدولة تجنب الفرق بين سعر البيع للمصدر والسعر الذي يطلبه البنك المركزي كعائد للصادر،

تحتشد في ذاكرتي مشاهد المساكين وعيالهم وهم يخرجون من غابة الطلح أو الهشاب، ممزقة أجسادهم ورثة ثيابهم من شدة العناء والمعاناة التي يواجهونها في «طق» الصمغ.

لو أن القائمين على الأمر فقهوا قوله «صلى الله عليه وسلم» «ألا بفقرائكم ترزقون» لقسموا الألف دولار «فرق السعر في القنطار» على ثلاث اثلاث:

ثلث يصرف على تطوير البحث العلمي في مجال الصمغ، ثلث يصرف على البنية التحتية كأن يُبنى قطار لتوصيل البضاعة من مناطق الإنتاج إلى مناطق التصدير، وثلث يصرف على الاعتناء بصحة وتعليم المزارع وترقية وعيه الإنتاجي.

لا ينفصل المنطق الدنيوي عن ذاك الأخروي

في كآفة التعاليم الشرعية إلا في محطة
الأحبار والرهبان عند تقاطع «براءة»

(١٠)

تعددت الوسائط الاجتماعية واضمحلت القيمة
الفكرية للمعلومة المتبادلة.

الكل يتعلل بعدم وجود الوقت الكافي للاطلاع،
فقد أضحت علة التواصل في الاتصال

(١١)

يَخشَى الرجلُ وزوجتُهُ ضَياعَ البيتِ في الرهنِ
البنكي، الأخطرُ تَبعثرُ الهمةِ التي لولاها مَا
بُنِي البيتُ وما اعتمرَ ساكِنوه بقيمِ التباهِي
والإسرافِ.
هَذَا حالُ مَن استعاضَ بالطّلاءِ
عَن مَكْن سُدة البناءِ

(١٢)

ينبهر بعض الناس برأسمالية لها إسهام طفيلي، وإن كان نوعياً، في السياسة والاقتصاد والاجتماع، وينسون أن حجّار «مسيحي أرمني» هو أولى بالاحترام لأنه لم يدنس إرثه بأموال التنزيل ولم يُعهد إليه بأموال العسكريين والأمنيين لاستثمارها.

وبعد ذلك يدعون أنهم حنيفيون إبراهيميون.

لا عجب فقد قالوا «سيغفر لنا» وقال اللّه «وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ».

(الأعراف: ١٦٩)

(١٣)

لا يمثل «الإرهاب» الإرث الإسلامي قدر تمثيله لموروثات الحقبة الاستعمارية «الوطني منها والأجنبي» وآخراً وليس أخيراً الهجمة الإمبريالية الشرسة على بلاد المسلمين.

طالبان امتلكت الحق الإلهي في التكفير
وحازت مشروعية التدمير يوم أن قال لها
«القديس» ريغان:
أنتم جند اللّه وأحباؤه!

(١٤)

ظلت الشملة بهية بكافة ألوانها الدينية، القبلية والإثنية حتى أتت عصابة «الإنقاذ» بمرتزقة نجحوا في الاستيلاء على السلطة في إفريقيا الوسطى، لكنهم سرعان ما تقهقروا محدثين حريقا عزّ على الحادبين إطفائه.

لا تقتصر خطورة الأنظمة الفاشية على حدود الدولة القومية، إنما تتعداها لتصل إلى كآفة مناحي القارة الإفريقية

(١٥)

ليسَ الخسارةُ في التجارةِ فحسبَ،
إنّما الخسارةُ في تَركِكَ عِيالاً
لا يَحملُونَ إرثَكَ

ولا يَذكرُونَ مَآثِرك.

الأطفالُ يُؤدُّونَ ما ائتمنتَهُم عَلَيه، فإنْ يك إِسمك فإنّهم يُرفقُونَه فقط أداءً لحقّ الأبوةِ البيولوجِيةِ

(١٦)

كاد التصوف أن يكون ممثلاً للعمق الفلسفي والفكري الإسلامي، لولا أنه افتقد، وفي لحظة حرجة علماء متكلمين، فامتشق سهمه زمرة من المتنطعين حصروه في زاوية التفسير الغيبي الماورائي للحادثات.

لا غرو، فحاجة الشرق الإسلامي إلى فكر استشرافي، سياسي وتنظيمي سيوفره الغرب الذي سيأتي باحثا عن الروح، روح حضارته التي عمدت الأرثوذكسية على طمسها

(١٧)

يتوهم بعض المربين أن باستطاعته التحكم في القضاء المعنوي للأطفال كونه ظل قادراً على فرض هيمنته الحسية وتوقيف عسكره

على أركان ساحتهم الزمانية والمكانية.

لقد نسى أن الحرية، البعد الرابع في مشروع تنمية الذات الإنسانية، قد أضاعت عليه فرصة الاستبداد إلى الأبد ولم يبق إلا التعويل على الضمير، وما أحسنه من سبيل.

(١٨)

مَن أعطاكَ بندقيةً فقدَ حمّلك بِذرةَ فَنائِكَ.
مَن زوّدكَ بالأقلامِ فقْد أعدكَ
لتكونَ مِن زُمرةِ الإعلامِ

(١٩)

آخرُ عهدِ بنِ مريمَ بالكهنةِ
أنّهم كَانُوا قبلَ ارتحالِهِ
يَتجرُونَ بالعُملةِ.

أليسَ مِن الغَرابةِ أنّه عندَ رُجوعِهِ
سَيجدُهُم على المسافةِ ذاتِها مِن المِحرابِ!

(٢٠)

طَرحُكَ الشرورَ بساحةِ الآخرينَ مَحضُ
تسويف لحالة مآلُها الانتَحارُ بحبالِ الإثم
مُتدليةٍ من منَصةِ الخوف في بحبوحَةٍ منَ
السَخطِ البَهِيمِ

(٢١)

لا يكتفِي التاجرُ «الورِعُ» بالاستحواذِ على
فائضِ القَيمةِ، بل يَمنعُ العمالَ البنغالَ حَقوقَهُم
علَى قلتِـهَا متعـذِراً بانشغالِهِ بالتهجدِ في
ليالِي رَمضانَ.

لا يَحوطُ الرادعُ ما أضاعَهُ الوازعُ

في دائرةِ الشحّ

لا يبلغُ السامعُ مَا أرادَهُ الشارعُ

إلاّ بمحضِ المشيئةِ

(٢٢)

ينظر الأبناء والبنات إلى أوليائهم بقدسية،
ثم لا يلبثوا أن يطوروا مقدرتهم النقدية
فينظرون إليهم بموضوعية،

ثم إذا ما اكتشفوا عيوبهم
تعاملوا معهم بشفقة وحنية.

وهذا هو مبلغ الإنسانية أن تعذر
حال من به طينة آدمية

(٢٣)

يعاني المغتربون السودانيون في الخليج
محنة في تعليم أبنائهم وبناتهم: إذا أدخلوهم
المدارس الحكومية «أو الوطنية» فهنالك
تراتبية اجتماعية وهرمية عرقية، وإذا ما
أدخلوهم المدارس الأجنبية نشأوا بلا هوية.

ليتهم هونوا على أنفسهم:

فالعولمة قد زحزحت المركزية الثقافية،
لم يعد هنالك خيار بين المحلية والعالمية،
إنما سعى حثيث، وإن يبدو متعسراً أحياناً،

نحو تحقيق بشرية الإنسانية، إذا جاز لنا أن نستخدم عبارة إدغار موران

(٢٤)

دأب الرجال على التخفيف من وطأة الحياة الزوجية بالتعرض إلى مثالب نسائهم.

فيما يتكلم أحدهم عن مزاجية قرينته، يتعرض الآخر لما يعتور طبعٍ صاحبته من نفور، يظل الثالث صامتاً........

فرق بين النسوة والكابوس

(٢٥)

في باديتنا اشتهرت أسرة من بيت معين بالسِبر فهم يسابِرون الخيل، العيين والحكام، ولاَ يَرعون بالاً إلّا ما ندر للعوام.

«هم أشبه بالبُدَل* الذين فيهم خلطة من الفراسة والولاية».

دُعيَ كبيرهم لتناول طعام الغداء الذي أعد

على شرف النميري في أول أيام الثورة.

فلما أنصرف الحضور قال لمليكنا

«يا أبو سعد الجلابي يا تكالكو، كان قعد اتنين بقعد أربعة وكان قعد أربعة بقعد ستة عشر.»

ركب يوماً باصاً من أُم دَوَرْوَرْ*

لم تمض دقائق حتى أمر أخاه بالنزول.

سأله أخوه فيما بعد عن السبب، قال له،

هل تذكر المرأة الحِميرة التي ركبت الباص؟

قال له: وي، قال: المرأة دي مدة ما حيه ما بتلقي راحة، حالها حال شقا.

لم يخرج الباص من المدينة حتى انكسر عمود الطوالي مما أضطر جميع الركاب للسير قدما مدة ثلاث ساعات إلى أقرب حلة.

اشترى مليكنا فرساً، فقال له صاحب السِبِر: الفرسة دي نحسة، رد عليه: عارفها لكَن بآكلها.

مات مليكنا ليلاً وماتت الفرسة صبحاً.

إنكار مثل هذه الحواس تنكب على

وضعيتنا ككائنات روحية تعايش تجربة جسدية، الارتكاس إليها وَهْم يجعلنا نعيش خارج مدار الجاذبية

(٢٦)

ظللنا إلى زمن قريب نفترش الشُقَة ونجلس على الأرض، فيما يتوسط المجلس كرسي يجلس عليه كبير القوم.

هذا لم يمنع أحدنا من المنافحة عن أفكاره، بل لم يمنع الأعراب من التعبير عن سخطهم وبكافة الوسائل التي وصلت أحياناً حد «الوَرْوَرَة» «مد الأصبع في وجه المخاطب»، وذلك تأكيداً على قيمة سودانية أصلية:

الما عندو كبير يشوف ليهو كبير.

فيما نحن جلوس يوماً خرج كبيرنا عن صمته وقال لأخيه الأصغر «الذي أصبح من بعد ناظراً»: يا فلان، الأعراب

قال: مالهم؟

قال: لا تدعهم يركبون الخيل ويحملون

السلاح، إنهم إن يفعلوا لا يخشوا الله ربهم.

لم يمض وقت حتى جاء العنصريون يحرضون على قتل الزرقة، قال لهم سيدنا «الزرقة ديل ناسي وأنا ما عندي قعاد بلاهم».

فلما آيسوا منه ذهبوا إلى اغرار في شمال وغرب دارفور نفذوا لهم ما أرادوا وبالكيفية التي تغضب الرب.

يوشك هؤلاء الأعراب أن يفتقروا إلى سماء تظلهم وإلى أرض تقلهم

مكتوب على حافة العرش:

البر لا يبلى والذنب لا ينسى أفعل ما شئت، كما تدين تدان.

(٢٧)

إذا استعصى على المرء استيعاب مفاهيم مثل تقسيم الثروة والسلطة أو إعادة هيكلة الدولة، فيمكنه إدراكها بمجرد استرجاع حقيقة تاريخية معينة:

إن البنت التي وضع جدها رأسه في المدفع

في كرري زوداً عن كبرياء الوطن تعمل اليوم «ست شاي» في سوق الشهداء فيما يقطن «الحفيد» حديقة على شارع النيل وقد جاء أبوه ضابطاً للمخابرات في حملة اللورد كيتشنر التي أعدت لاستئصال «الأوباش»!

(٢٨)

نَبذلُ قصارى جُهدنا هذه الأيام في تربيةِ العِيالِ. لو أنّا بذلنَا من الجُهد أقلّهُ في تقويمِ أنفسِنا لناسبَ ذلِكَ.

المرآةُ، وهي تُراقبُ

تُبدِي عِظم المَيلِ في ظلّنَا

(٢٩)

لم يكتف قومنا بجعل المثلية سيئة السيئات فقط إنما جعلوها أيضاً جماع كل السوء، ورجعوا يومئذ قانعين.

لا أظن أن تبريراً هكذا يكفي لتفسير ما حل

بأمتنا من بؤس. لا بد من تفسير يصطحب
العوامل المؤسسية والبنيوية دون إهمال
لتلكم السلوكية وإلا فلماذا يختلف سلوك
المثلي الإنجليزي عن ذاك المغربيٍ؟ ما الذي
يجعل الأول حاذقاً والآخر حاقداً؟ ما الذي
يجعل السياسي الأمريكي المثلي يستقيل حال
اكتشافه معتذراً عن تعديه على القيم التي
ائتمنه المجتمع علي تمثيلها ويجعل ذاك
السوداني يتبجح رغم فشله وقصوره في الأداء
ويصر على استبقائه في الوزارة لسنين؟

هي إشكالية تربوية في بيئتنا وعلة مرضية
في ثقافتنا تجعل المرء يتجمل برمي العلل
علي الآخرين عوضاً عن البحث عن أسلوب
جدي وموضوعي في التصالح مع الذات
وإعمال العقل لحل معضلات الواقع

(٣٠)

تقول الميثولوجي الصوفية إنّ المنظومة
الكونية تتعرض إلى اختلال يؤدي إلى دمار
ومن ثم يحدث التلاشي التام الذي ينذر بقيام
الساعة عندما يؤول الأمر الغيبي أو ما يسمى

بالحضرة الإلهية أو النبوية إلي الدراويش
الذين لا يستطيعون ضبط ظاهرهم بما تطّلع
عليه بواطنهم من الأسرار.

إذا أيقنا أن عالم الغيب له ما يوازيه في
مدار الشهادة، فإننا حتماً سنتشرب مفهوم
الأبدال الذين يحفظون للأوطان إرثها
ويرعونها من التبدد الذي قد يصيب أركانها
إذا آل الأمر إلي أعيان «هم في عداد الغُلمان»
يتبعون أهواءهم في غير روية ويسيرون في
كل جهة إلا تلكم السوية.

(٣١)

يُحكى أنّ رجلاً منِ المسيريةِ ممّنَ يَرعُونَ
أبقارَهُم صَيفاً في جِبالِ كُردفان

«جبال تنتظم امتداداتها جبل العين وجبل
الداير وجبل دامبير»

تعدّ الرهد أبو دكنه «مسكين ما سكنه» غير
أنّ ذيلَ مراحِهِ

وَقَعَ في بلادِ امرأةٍ مِسكينةٍ

....

خرجتْ المرأةُ غاضبةً وداعت حاشي ول دقل

بِقولِها: أجَلَك ما تَنّيتْ، طَالِق مَالَك في الناسِ

مَالك بقِي مَال حَاشِي ول دقل؟

....

قَالَ لَهَا وملءُ عطفيْهِ أدبٌ وحياءٌ

إنتي كَان شُفتي حَاشِي ول دقل بِتعرفِيهِ؟

قَالتْ لَهُ: اللهْ لا عرفو، نَعرفُو دَايرَا بيه شنُو؟

أرفع بَقَركْ من بِلادِي

....

قَالَ لَهَا وجلاً غيرَ مُلتفتٍ:

أنا المُقَابلِكْ دَا يَا بِتْ عَمّي

حَاشِي ول دقل.

وَالوَقَعَنْ بِلادِكْ دُولاَ، بِمَتَاليب بتّا

حِرْمَنْ عَليّ! وحَرّمْ مَا يَلْحَقَنْ أُمّهَاتٍنْ!

....

قَالَ فوقُو الهَدّاي:

بَجُر القولْ فوقْ سِيدْ النّفَل

قَيدُومْ الرجَالْ حَاشِي ول دقل
الدّنْقِر نَقَرْ
دَاكْ رَاجْلاً قدَلْ فُوقْ قدر
في غَيّة وبَاطَلة ما هَجَل
كَلاَما بِقُولاَ فُوق عَدل
قَيدُومْ الرِجالْ حَاشِي ولْ دقل
السِندالة الدّقتْ البَقَرْ
....
السّمْعةْ ولَا طُولة العُمُرْ

«رِوَايَة اللمينْ وَدْ كَاكُومْ»



من أعمال التشكيلي محمد فضل

أب توب شرابو عسل ما روب.

اللهم أرض عنه وعن ساداتنا....

عبقرية إفريقيا في إدارة المجتمعات

(١)

«قعيدْ مَا بدُورْ قعيدْ» مَثل يُضربُ للضيف الَذي يستنكفُ مَن مُكوث ضيف آخرَ مُدةً يَحسُبها أطولَ من المُعتادة فيَتبرّمُ دونَ أنْ يَدعَ مجالاً للارتداد.

إنّ «خداعَ الذاتِ» هُو الأسلوبُ الذي يستخدمُهُ المَرءُ للتهربِ مِن جَلْدِهَا كي لَا تَستفِيقُ

(٢)

ثنائية «شيعة – سنة» هي عبارة عن مخلب قط استحدثته الإمبريالية العالمية لتشل قدرات الأمة الإسلامية وتضعضع من نفوذها،

الغريب أنها لم تنتبه حتى خربشت وجهها وكادت تدمي خاصرتها. كل ذلك عملاً بمخططات الصهيونية وانصياعاً لمتطلباتها.

«كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (المائدة: ٦٤)

(٣)

الوقائع اليومية تكذب ادعاءات الخبير الذي يزعم أن نسبة التضخم باتت ضئيلة لا تكاد تتجاوز خانة رقمية واحدة، في حين إننا نلاحظ زيادة في كلفة الإيجار والتعليم والأكل تتراوح ما بين ١٠ – ٢٠٪.

أيهما نصدق الصراف الآلي

أم

الخبير البريطاني؟

(٤)

إن البيروقراطية تستأصل ملكات المرء
وتجفف كل ينابيع العبقرية والإبداع لديه،
فيستحيل إلى آلة تطلق أحسن صافرة عند
معاينة المدير ومن هم في حاشيته ودائرة
محبته من المرضيين عنهم.

(٥)

فَقِيرٌ مَنْ لمْ يجدْ غيرَ المالِ زُخرفاً يَفتخِرُ بِه.
بَئِيسٌ مَنْ حَرمتْهُ العْيَلةُ عن استشرَافِ
مَا هُو عَلوِي في مناحِي الحياةِ!

(٦)

عند الضحى التقت الغزالة والضب، فألحّت
الأولى على الآخر أن يرمل* لها لكنه تمنّع
متحججاً بالشرعة التي تذم الطيَرة.

نزل الضب عند رغبتها وقد أشفق من إلحاحها
فمهد بكفه وقال لها: ارمي. هاله ما قد

رأى، أطرق برهة، تردد، لكنه لم يجد بداً
من إخطارها بأنها ستموت قــبل الظهيرة،
وأنه لن ينجو من شر يصيبها.

كان ثمة قناصٌ يعاينهما من بعد، صوب
ناحية الغزال فأرداها قتيلة. هَمّ الضب
بالهروب لكنه أراد أن يرشف رشفة من دمهـا
- في حالة من اللهفة والارتباك -
جعلته صيداً لصقر كان يرقب الموقف من عل.

وهو بين أظافر الصقر صرخ آيساً وردد
مقولته التي ذكرها آنفاً، ألم أقل لك
«إنتِ بتموتي وأنا شَرّكِ ما بخطاو»

(٧)

الحكومة بتموت والرزيقات «ما بخطو شَرّها».

يا لهفى على هذه القبيلة الكبرى التي آل أمرها
إلى «هلافيت» لا يروعهم أن يؤول إرثها إلى
خراب أو أن تندثر كما إندثرت خزام،

كانت خزام في الزمان الغابر أعظم قبائل
دارفور كثرة وشجاعة. فلم تلبث أن اندفعت

بحماسة جعلتها في مقدمة جيش رمضان بورَا الذي أغار على دار الرزيقات في عام ١٩١٦ بهدف إفنائها أو استرقاق أهلها.

لم تتقدم خزام في اليوم الأول مزهوة بشعار «ما في رجال بلا خزام» حتي أجلت صفوف الرزيقات، لكن سرعان ما اعارت الأخيرة التاريخ خاطراً واستبدلت استراتيجية الدفاع إلى استراتيجية هجومية ابتدعها اجه ولد ام حوّي أجلت المعتدين عن أخرهم في اليوم الثاني أو الثالث.

كانت خزام تدافع عن سلطة غيرها «سلطنة علي دينار»، بانتهائها وقعت خزام بين شمت الشمات وحسد الحساد ولم تقم لها قائمة من حينها. فهل في ذلك عبرة لمعتبر؟

(٨)

من نجران إلى وهران

من نواك شوط إلى انجمينا

رحلة مضنية لكنها مثمرة

عبقت فيها معاني وامتزجت فيها أعراق

كان أبهى تجلياتها كيان البقارة الحالي،

نبعت من هذا الكيان شخصيات وأسر أدركت إن بقاءها، بل ازدهارها، مرهون بتفاعلها مع محيطها الإفريقي تفاعلاً أكسبها عبقرية لم تنضب حتى جاءت عصابة معتزمة القفز فوق محددات الزمان والمكان - هي بمثابة السونامي الذي زعزع الوجدان وقد أيقن من فناء السودان كل السودان

«بمفهومه القديم والجديد»

(٩)

لن يستقر أمر هذه البلاد حتى يتصالح مواطنوها مع ذواتهم فيعتزوا بإفريقيتهم، بل زنجيتهم التي هي أصل الخليقة وبيان النشأة

(١٠)

اتصلت بالصديق العالم د. عبدالسلام نورالدين للتنسيق للقائه وآخرين بإنجلترا فأبلغني بأنه في طريقه إلى الولايات المتحدة لاستقبال أول

حفيدة وقد بدأ مستبشراً ومتهللاً تكاد نبرته تبلل ساحة الأثير بالندى.

لعل استعظام النعمة واستشعار مهمة شكرها ترد شيخنا الجليل إلى واجب الاستمساك باوراد الطريق التي لم تزل في انتظاره منذ وفاة والده شيخ الطريقة التيجانية بمدينة أب زبد «قرية أم دقاق»، أو لعله يرشدنا إلى طريقته الجديدة.

نبارك للدكتور نور الدين ونسأل اللّٰه له عمراً مديداً حتى يحفه الأحفاد ويمده الأجداد «وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات» (النحل: ٧٢)

(١١)

هلْ من الأفضلِ للمؤسسةِ أنْ يكونَ لَهَا مُديراً عَالِماً في مَجالِهِ مُستهوناً شأنَ زملائِهِ
أم أنْ يكونَ لَهَا مَسؤولاً يَعلمُ أنّ غُنيتَهُ في ضبطِ مادتِهِ والاعتناءِ بِمشورةِ رفقائِهِ؟
لَو كَان عَادِلاً لم يَكُن مُستبداً
لَو كَانَ بَسِيطاً لَم يَكُن مُستعيضاً

(١٢)

دأب أحد الزعماء الطائفيين في بلادنا المنكوبة على المخاتلة فكتب مقالاً «يستشفع فيه الشعب» و «يشكو إلى الله» من جنوا عليه بانتزاع الرئاسة التي يراها حقاً حصرياً له ولذويه.

حتى الآن لا يرى جناية قد ارتكبها هو في حق الشعب، لكنه يعتقد بضياع الفرصة على الأمة التي كانت ٢٧ عاماً تحت إمرته كفيلة بإسعادها أبد الدهر.

أفضل للمرء أن يأتي ربه معترفاً بألف خطيئة من أن يلقاه مكابراً عن واحدة!

(١٣)

الاستراتيجية لا تعني مطلقاً الاستعاضة عن الجهد الحيوي، بل المضنى، للتعرف على مواضع الخلل واتخاذ تدابير متسقة ومتكاملة تسهم في الوصول إلى الغاية المنشودة، بسرد نظري يحدد سلم الأولويات ولا يحدد منهجية

تداولية يمكن أن تكشف الخلل البنيوي، السلوكي أو المؤسسي في إطار المتابعة والتنفيذ.

(١٤)

إن عجزنا عن استحداث أسلوب للتعامل مع المدنية بموضوعية وتلكؤنا عن ابتداع سبلاً لمواجهة الحداثة بمنهجية جعلنا نحصر كافة إشكاليتنا الاجتماعية في مقاربات مادية لا تتجاوز كونها عرضاً لمرض مزمن اعتور بنيتنا الثقافية منذ الأزل:

الازورار عن الحقيقة ومداراتها بأخرى

سؤالنا للخبير الاجتماعي «الذي هو بمثابة أفندي راقي»: هل ستضمحل ظاهرة الطلاق بمجرد توفر الدعم المادي للمتزوجين؟

هل ستختفي العنوسة في مجتمعاتنا لمجرد توفر الإسكان؟ ماذا عن الخيانات الزوجية والانحرافات الأخلاقية الأخرى؟

(١٥)

اصطحب شاب أخاً له إلى حضرة مولانا الشيخ عبدالرحيم البرعي. ما إن شرع الأخ في شرح حالة أخيه الصحية، حتى قاطعه المُصْطَحب معترضاً بل جازماً، بأنه نصيح وأن أخاه هو المعتل عقلياً!

في هذه الأثناء جاءت مجموعة من الطالبات تبدو عليهن الملاحة والجمال. سألهن الشيخ: من أي البلاد؟ قلن : من بارا.

انتفض الفتى «الناصح» قائلاً: سنه يا بنات بارا!

ضحك الجميع وقالوا الموضوع حلّ نفسه!

(١٦)

المؤتمرات التي أقامتها منظمات المجتمع المدني بنيروبي وأديس أبابا، والتي أشرف على تنسيقها والإعداد لها الإخوان عبدالباقي جبريل (Darfur Relief & Documentation Center) وحافظ محمد (Justice Africa) على التوالي، أعادتنا إلى الأسرة الأفريقية، كما أعطتنا

فرصة للتصالح مع ذواتنا.

هذه هي الوجهة التي كان من المفترض اتباعها منذ الاستقلال، فقد كانت فرصة للتثاقف خارج إطار الوصاية التي فرضتها النخب المركزية، جمعتنا بمناضلين هم الضمير النابض بهموم الشعب والمنفعل بقضاياه. لا أخفي أنني قد وجدت نفسي وأحسست بذاتي إحساساً لم أجده في كآفة «المنتديات القومية،» ولذا فإنني أرى أن من الأنسب لكل مجموعة أو جهة أن تهيئ المناخ الذي يسهل لها التواصل دون أن يكون ذلك مدعاة للعزلة، إنما دعم لمستوى من التواصل لا يقوم على الهرمية العرقية والاجتماعية لكن يوطد العلاقات الأفقية.

(١٧)

وَضَعتْ المرأةُ العاملةُ الرّوج، المَاسْكَرا، الفَاوندَاشن، اللِب استك، لَبستْ البَانطلُونَ الذي لَا تَكادُ تفوتُهُ بُوصة مِن فَخذِها والستيَان «طَاقِية التيمَان» الذي يبرزُ حَلَمة نَهدِهَا.

اعتلتْ الكَعب العالي الذي يُدغدغُ خِصْرَهَا فَلا يَكادُ جَسُدها يَتَمَاسَكُ حتّى يَنبرِي كَالقوسِ الذي يَنطلقُ منهُ الرمحُ مُتصيداً الداءَ فِي قُلَوبِ الناظِرِينَ.

خَرجتْ إلَى الشارعِ مُسليةً نفسَهَا بمِفتاحِ الـــــــــ (BMW)، نَسيتْ عُلبةَ السجَائر، رجعتْ إلىَ المنزلِ فوجدتْ زَوجَهَا الذي نَبّهَهَا إلى ضَرورةِ الاعتناءِ بالتسريحةِ. امتثلتْ، فَمُهمّتُهَا أنْ تبقَى المُدير مُتوهجاً وأنْ تُسكِن قدرَ الإمكانِ مِن غَضبِ الزوجِ العاطِلِ!

(١٨)

استشارني أخ لي في الانتقال من شركة «ز» إلى شركة «س»، فقلت له أنت تفاضل بين بار في انتركونتنتال واندابة في حي كوريا. لم يدرك حقيقة ما أقول حتى رأي بأم عينه موظفين ينتعلون «شباشب» ومدراء يأتون إلى الاجتماعات دونما تحديد لأجندة أو

ترتيب لأولويات. لم يمض شهران
حتي غادر البلاد.

آن لرجال القطاع الخاص أن يدركوا أن
حكامة الشركات منوطة بحاكمية الدويلات،
الأمر الذي يبدو مستحيلاً في ظروف
يكون فيها الولاء مقدماً على الأداء

(١٩)

باقترانِ الحبانِ يَتولّدُ الحسّ من المَعنَى
وبالإنجابِ يَتولدُ المَعنَى من الحَسّ «وَهُوَ
الّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا» (الفرقان: ٧٥)

قد تذبلُ الأُنثَى لفقدانِهَا الحُبّ لكنّهَا تَعقمُ
بِولادَتِهَا أناس ليسَ لديْهِم مُساهمة فاعلةٌ تجاهَ
المجتمعِ والإنسانيةِ.

(٢٠)

إن أسرة يتجاوز معدل الطلاق فيها معدل الزواج هي أسرة فاشلة ومحاولة مصاهرتها هي بمثابة الإقدام على انتحار

(٢١)

جفلت «عثرت» دابة أحد الأعراب فوقع وقد أحس كسراً في ساقه ودواراً في رأسه لم يمنعه من الاستغاثة بعباد الله الصالحين.

آفاق من غيبوبته وهو مدرك أن المرأة الصالحة التي فزعته في غيهب الصحراء تسمى زينب وتكني «بت بيلا».

استنكر الناس سؤاله عنها وهو منٍ عرف عند أهل المدينة بالعفاف ظل مثابراً حتى وصل إلى بيت في طرف الحلة وفي خضم هرج ومرج من الأهواء. دق الباب فاستقبلته فتاة مليحة في ثياب مريحة.

سألها عن «بت بيلا» فقالت له بأن المدام مشغولة وطمأنته بأنها هي من سيقوم بالواجب تجاهه، قال لها الأمر شخصي، فأمرته بالانتظار. بعد فترة جاءته سيدة وقورة في

ثياب مهولة.

أبلغها بمحنته في الصحراء وأكد لها بأنها هي من عدلت ساقه فبرئت من حينها بعد استغاثته بعباد الله الصالحين.

أنكرت، ترددت، أطرقت ثم أقبلت. بعد أن أيست من الفقهاء دلها المحبون على سيدي ومولاي الشريف يوسف الهندي.

....

قالت: الفقهاء يا مولانا زعموا أن ليس لديّ توبة وأن مالي لا يقبله الله.

قال: دا قولهم، قول أبوك الشريف، تتوبي وربنا يتقبل توبتك وهبي وربنا يُرْبِي صدقتك.

لم يشأ مولاي الشريف أن يشوش على فرحتها لكنه أراد أن يقنن بهجتها فقال لها «وقد كان ملامتياً لا يلام في قوله»: إنت يا بت بيلا فَلْوسِك الصغير دا بسوي لي الله شنو!

انكسفت المرأة وقد أكدت على تبلمها ثم انصرفت.

قد كان فيما وهبت من أملاك عقاراً استخدمته الدولة مقراً لوزارة الشؤون الدينية

والأوقاف. فلم يجرؤ أحد ممن تعاقبوا على هذه الوزارة أناس أمثال شيخ عوض الله صالح والعلامة عون الشريف على إزالة اللافتة حتى جاء الانقاذيون فأزالوها مستنكفين ارتباط الاسم بالعلم.

....

فرق بين من يعرف مزايا الألوهية

ومن ينكر مقدار الربوبية

(٢٢)

في اعتقادي هذا هو البلد الوحيد الذي يحال فيه طبيب أو مهندس إلى الصالح العام ويرفع فيه ساقط إلى منصب عميد الاقتصاد السوداني.

كانت تلك هي المرة الثانية التي يرسب فيها زملينا، فطرد من الجامعة. بعد ملازمة «مخلصة» و «متجردة» أسند إليه الشيخ مهمة إدارة صندوق؛ عند المفاصلة هدته الاستخارة للانحياز إلى ولي الأمر ودلته الاستشارة للإلقاء بالعهدة المالية إليه والتي

تجاوزت حينها ٧٠ مليار. من حينها صارا شركاء قبل أن يصبحا عدلاء.

لا غرو، فإن تكلفة بناء المشروع قد تجاوزت الضعف كما أن إنتاجيته قد تدنت دون النصف

(٢٣)

إن عدم توفر مظلة مدنية مثل الـــــــــ Rainbow في الولايات المتحدة أو سياسية مثل الـــــــ ANP في جنوب إفريقيا يجعل شعب دارفور طلاباً ونازحين، رعاة ومزارعين، علماء وناشطين، نهباً لحادثات ومادة لإعلاميات يستحيل معها توظيف كل هذه التضحيات لمصلحة المستقبل.

بالقدر الذي ساهمت فيه الحركات في رفع العار ودرء المعرة، فإنها قد أعطت المركز فرصة لتدمير الريف دون أن يستعين بعناصر خارجية، إنما فقط إيصال الذخيرة إلى أرض المعركة في الوقت المناسب.

إن مجرد مقاطعة دارفور «الاجتماعية» لأي من «المنتوجات الوطنية»، كفيل بتنفيس

الحيل التي يتبعها المركز دونما أدنى كلفة للمواطنين.

(٢٤)

لقد أصبح دور الشعراء في بلادي هو التطريب «بأكتوبر المجيدة وأبريل الفريدة»، كما أضحى دور الفقهاء هو التأنيب «كيفما تكونوا يولي عليكم»، وبات دور الخبراء هو التغريب «تجهيل الشعوب، تسطيحها وإبعادها قدر الإمكان عن شمس الحقيقة».

إن اعتزال الشأن العام يمثل ضرباً من ضروب الاستسلام، أما الولوج دون روية ففيه مساومة للمبادئ وضياع لأسس الفضيلة. لا أخالني مبالغاً إذا زعمت أن دخول الفضاء الإعلامي هذه الأيام وبأي حجة هو بمثابة التردد على «سبعة بيوت» في نهارية الشهر الفضيل، لو كانوا يأبهون!

(٢٥)

كلّف الصدّيق يوسف وأمر بالتبليغ على عمر الثلاثين «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» (يوسف: ٢٢)، أما الكليم موسى فقد أعطى الرسالة على عمر الأربعين لكنه أمر بالبلاغ على عمر الخمسين «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» (القصص: ١٤) .

بالرغم من أن كليهما نشأ نشأة متميزة «في بيت العزيز أو الفرعون» هيئت له التعرف على مستلزمات التكليف إلا أن الأول كان مهمته سياسة البلاد، وكان الأخر مهمته رشاد العباد.

كان لزاماً على الكليم أن يرعى الغنم، من دون البهائم، لمدة عشر سنوات، حتى يعرف كيف يسوس العباد دون أن يحدث في كينونتهم شرخاً أو في كيانهم خللاً.

(٢٦)

عادتني والدتي ذات يومٍ وأنا مريض لا أقوى على مبارحة الفراش. سلّمت واكتفت بتفحص الغرفة حتى وقعت عينها على مسبحة معلقة على حافة السرير، حملتها متحسسة حباتها، هالها ما قد لمست من جفوة بين عيدانها.

أنبتني بلطف مراعية حالتي الصحية قائلة: يا ولي، إنت لا تتعهد أورادك بالرعاية. قلت لها معترضاً، لم يفتني وردي من القرآن منذ عشرين عاماً.

أفحمتني بقولها: وهل يغنى ذلك عن الصلاة على سيدنا رسول الله. اعتبرت ولم ينبس فمي ببنت شفة.

فَتعسّمُ الحبّاتِ مِن
تَلعسُمِ الخَطَراتِ!

(٢٧)

تأثرت السيدة صالحة بنت حفظ الله أبوزيد «محسية من جزيرة سِمت» لعدم قدرتها

تلبية رغبة أختها السيدة سكينة والتي أوصت أن تدفن حال وفاتها بالقرب من جبل الشيخ السماني في نواحي الدويم.

لم تعف نفسها من الكرب حتى رأت الشيخ السماني في المنام يوماً فطمأنّها بأن «جبال القدرة» قد نقلت أختها حتى توسدت اليمين حيث يطيب لها المقام بالقرب منه.

هنيئاً لمن طلب الجار قبل الدار.

(٢٨)

يوم أن ولدت والدتي، أراد جدي السيد أحمد مكي عبده تسميتها على والدته وأرادت جدتي لوالدتي السيدة صالحة تسميتها على أختها.

وهم في هذه الحالة إذ جاء الراحل محمد أحمد محجوب ليفض الاشتباك بتسميتها «السكينتين»

«أهل المغرب يسمون سُكينة بضم السين وتعني بياض العين وأهل السودان يسمون سَكينة بفتح العين وتعني الطمأنينة؛ هنيئاً لها

الجمع بين جمال الحس والمعنى».

وقد كانت بحق سكينة لربعها الكنوز والعبابدة وربعنا الذين لم يفتهم سنّها بقولهم:

أم الوليد بيتْكِ ما بعيد

والخير يزيد والعمر مديد

وهي تهوش لذلك فتدفع الحرير والأقطان وتذبح من النوق السمان

(٢٩)

لم تمنع عوامل التعرية الطبيعية ولا تلكم التغولية الإنسية الناظر حسين زاكي الدين التعرف على الحد بين البديرية ودار حامد والحمر والذي كان بمثابة معلم دفنه في الأرض قبل سبعين عاماً عندما كان شيخاً في أم صميمة مع مدير مديرية كردفان آنذاك هكس وارس

«رواية قاضي الاستئناف للبروفسير أبوشوك».

عندما شب نزاع أراضٍ وذلك في التسعينات، كان الناظر في سنٍ متقدمة لم يقو على

المشي فأمر الصبيان أن يحملوه في كرسي ويضعوه على ظهر العربة. نهب سائق «البوكس» الرمال نهباً حين أمره الناظر بالتوقف في موضع بالقرب من جبال كاجا وكتول «النوبة الشمالية».

أمُر الصبيان بالحفر، لم تمض ساعة حتى ملوا ولعلهم اتهموا عمهم الناظر بالخرف، أمرهم بمواصلة الجهد وقال لهم: إن موضع الشجرة هنا، لعلها بترت، لكنكم ستجدون جذعها، وقد كان.

إن ارتباط السودانيين بالأرض «أهل الغرب منهم خاصة» كاد أن يوازيه انفساح في المجال لو أنّا سرنا على الخطى التي رسمها الإنجليز، الذين أوصوا بضرورة تسجيل الأراضي وقد فرغوا من تقنين ملكيتها في وسط وشمال السودان، لكنهم تعذروا بضيق الوقت وعدم توفر المال الكافي لإنجاز المهمة في شرق وغرب السودان.

لم تجد النخب المركزية وسيلة أفضل من الأرض يمكن أن تقنن بها العصبية فاستبدلت

قانون ١٩٢٥ بقانون ١٩٧٠ والذي هيأ لها فرصة الاستحواذ على الأراضي كافة: المسجلة وغير المسجلة.

(٣٠)

لاَ تُعنى الأنظمةُ الرّيعيةُ بفاعليةِ الدولةِ ... (functional state) ...

قَدَر احتفائها ببهرجِهَا وزُخرفِها ..... (image of a state) .....

(وَذَلكَ لِحاجةٍ في نفسِ يَعقوب)

(٣١)

بعضٌ مِن البرلماناتِ العربيةِ والأفريقية أصبحتْ اليومَ عبارةٌ عَن «بوردَيلات»* يَتفَننُ فِيها النوابُ والنائباتُ فِي بيع ضَمائِرهِم؛ الأدهى استثمارُ مَحنةِ شَعوبِهم.

الأمرُ الذي لم تَكُن لتفعلَهُ صُويحباتُ يُوسف، إذ كُنّ يفصلنَ بينَ مُتطلباتِ المهنةِ وموجباتِ الرحمةِ!



من أعمال التشكيلي رمضان سعيد

آخر عهد بن مريم بالكهنة

(١)

المُوسيقى تُدغدغُ وصافرةُ عاصم الطيب
تُقَبْقِب*، يا لَهَا من صافرةٍ!

(٢)

أُنثَى تَصحبُهَا أُخرَى
مَلتْ المكوثَ فِي البيتِ وَمُتابعةِ المُسلسلاتِ
تُعالجُ مَللاً حرّكتْ أناملَها الحريريةَ في المُوبايل،
نادتْ السائقَ الهندِي
خرجتْ بكامل زينتهَا إلى الــــــ (Mall)
اشترتْ ماركةً فخيمةً لشنطةٍ لا تذكرُ سعرَهاَ،

حمّلتها الخادمةَ الفلبينيةَ

تَغتنِي لا تُحسنُ أنْ تَعتنِي
تَشتهِي لَا تَرغبُ أنْ تَرتقِي

لَا تعرفُ مَغزَى للحياةِ
غيرَ التسكعِ في هضباتِ الترفِ
بَياضُهَا يَنفِى سَوادَها
فُضوُلها يُغرِي
مُجونَها

لَيتَها قرأتْ للنفرِي
أو سمعتْ للفيتورِي قولَه:
دُنيا لَا يَملكُها مَن يملكُها
أغنى أهليها سَادتُها الفقراءُ

(٣)

تظلُّ المرأةُ الثمانينيةُ متمسكةً بحبّ الحُلي
وَمُتشبثةً بتقلد الأساور، رغم المَصاب:
فالأناملُ قد خَارَتْ والمِعصمُ قد اضمحلّ

ويبست عروقُهُ.

وَهَي إذْ تفعلُ فإنّما تُداري فعلَ الطبيعيةِ
بِمُحفزاتِ الفَطرةِ
«أوَ مَنْ يُنَشّؤا في الحلْيَةِ وهو فِي الخِصَامِ
غَيْرُ مُبِينِ» (الزخَرف: ١٨)

(٤)

إذا قالت لك أنثى فيها بعضٌ من الحيوية:
«أموت واعرف انت داير منى شنو»، فهي
لا تريد أن تعرف لكنها تريد أن تغرف.
وقد اختلج في نفسها دغدغة الهوى بدواعي
الاحتراس

....

لا يحدث العمر تغيراً في الجِبِلة، إنما يكسب
الظرف «فقط» ضعفاً في الحيلة.

(٥)

إن الخبير في وطنه هو فرد؛ أما في غيره فهو أحد.

(٦)

لا تفتأ المرأة تحاول الاستحواذ على بعلها حتى تفقده.

(٧)

ظللت أعيب على خلي اتخاذه خدناً وهو بعد لم يتجاوز العقد الأول، أما وقد تجاوزت العقد الثاني فإني أعيب على نفسي اتهامه حينها بالخيانة!

(٨)

برعَ فِي تصفيفِ شعرِهَا حدّ الإثارةِ
أعملَ أناملَهُ فِي جيدِهَا صوبَ الإغارةِ

حرضتْهَا مخمليةُ المكانِ وخصوصيتُه إلى الاسترسالِ، جابتْ في رغبتِها وجالتْ، قالتْ: أحبُّ الأسمر مَا سلمَ منهُ وما كانَ ألْوت.*

تلوت كثعبانٍ أغارتْ عليهِ الريحُ من ناحية لم يألفْهَا؛ وهي تأوي إلى الأرضِ لاهثةً قدْ منَعها الاحتراس من التأوهِ - ممّا زادَ من أرقِها وعنائِها - مُتنافرة أعضاؤها من فرط ما أعياها من الخمول، استغرقتْ ذاتها حتّى أحستْ بنشوةٍ يكادُ سريانُهَا يجتاحُ الفرائصَ من رأسِهَا إلى أخمصِ قدميْهَا.

وهي تضعُ اللثامَ وتنثرُ ما تجمعَ من الآثامِ

لم تنسَ أنْ تسألَهُ عن اسمِهِ؛

مُحرمٌ عليهِ أنْ يتعرفَ عليْهَا

أو أنْ يبوحَ بمجردِ ميلِهِ إليهَا!

(٩)

في مجتمعات يسودها الخوف تتبلد مشاعر الأفراد حد التخشب فلا يكتفون فقط بالتنكر إلى من نعموا بصحبته بالأمس؛ إنما يشعرونه أيضا بأنه غير موجود!

(١٠)

يُوشكُ لصٌ هاربٌ من العدالة الوصولَ إلى
موسكو وإعلانَ نَفسه قَيصراً بعدَ أنْ هيأ
له الفراغُ الاستعانةَ بَجيشٍ مِن المُجرمينَ
لتقويضِ النظامِ وترويعِ الآمِنينَ.
مَا تخيّلَه الكسندر بوشكين في روايته «ابنة
الضابطِ» قبلَ قَرنين أصبحَ وَاقعاً نَعيشُه اليومَ.
يَا لهَاَ مِن نُبوءةٍ!

(١١)

حتى زمن قريب كانت العمامة رمزاً
لكبرياء الإنسان السوداني، بل عنوانا لانتمائه.
فالجعليون يقولون «دا ميرفابي عمتو طويلة»
دليلا علي إبائه والعطاوة يقولون «دا لابس
جلابية أنصارية جناح أم جكو» إشادة بالكرامة
والالتزام العقدي.

صادفت زيارتي للعمدة كبور شقرة «عمدة
المحاميد» يوم السوق وذلك قبل ثلاثة
عقود فلم أر واحداً في سوق قميلاية من زهاء
الألفي رجل حاسر الرأس.

ما فتأت عوامل التعرية تصيب الشخصية حتي تنازل الزول «والذي يشمل أحد معانيه الأناقة أو الوسامة» عن الهندام، واكتفى بالعراقي «تحته فنله» والسروال. وكل ذلك باسم التحلل من الأثقال أو لعلها الأوزار!

(١٢)

أحبُّ البناتِ إليكَ
هي التي تلتمسُ فِي نظرتِهَا عتاباً
وترتجي من لمستِهَا ثواباً

هي التي تدخلُ عَلَى قلبِكَ
دونما استئذَانٍ
فتغسلُ عنهُ الحزنَ
وتربتُ عَلَى كتفِكَ
فتذكرُكَ بجمالِ الكونِ

.... حبيبتِي أورَاد

(١٣)

رأت الزوجة فيما يري النائم يومين علي التوالي ان ابنتها خرئت خراءً ملأ الغرفة حتي شمل أركانها.

اتصل الزوج بالمؤذن الذي له معرفة بقدرته علي تفسير الأحلام. أبلغه الأخير أن هذه الطفلة ستكون مصدر رزق كبير له ولأهله.

الرؤيا يراها المسلم أو ترى له؛

كل حسب صفائه وقدرته على الاستشفاف!

(١٤)

في غرة المولد النبوي الشريف عام ١٤٣٥هـ رأي الشيخ فيما يرى النائم أحد حواريه راكباً جملاً «أبلق» يقود جِمالاً لا آخر لها؛ وقد أوّلها الشيخ (والله أعلَم) ارتقاء هذا المريد مكانة عالية في الدنيا قبل الآخرة.

عند الصديقين،

الرؤيا جزء من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة

وعند المتشككين،
أضغاث أحلام وما هم بتأويل الأحلام بعالمين

(١٥)

ذهبت في إحدى زياراتي الصيفية إلى البلد فحثتني جدتي لوالدي الحاجة أم ضي محمود «رحمها الله» على زيارة ابن أختها «وابن الخالة الوحيد لوالدي»، الذي كان يعمل حينها كاتباً للدونكي في قرية سرحان.

وصلنا ظهراً دون إخطار أنا ونفر من أقراني لم نتجاوز بعد سن العاشرة فأولم لنا بذبيحتين وعزّنا بمناداة أهل الحلة للتعرف علينا.

عجبت من رجل يكرم أطفال لا شأو لهم لكنني أدركت فيما بعد أن الكبار يعاملون الشخص بما هو أهله وليس بما هو عدله؛ من حينها توطدت العلاقة بيننا ونما الود الذي كنا نرعاه بالهدايا والكلم الطيب.

طلبني يوماً ولم أدر أنه يطلبني للوداع فجئت من بلاد الغربة مستوحشاً ووجدته شاحباً قال لي: لا تجزع «فكل خلف بلز خلفاً» ولكن أحرص إن جاء دوركم ألا تكونوا قد فرّطتم في أمركم.

بدا لي أن أبا مالك كان مشفقاً علي الأهل ومغتماً من الحال التي آل إليها أمر البلد، بيد أنه رأي ضرورة التمسك بالأمل وإن عَزّ المصاب وانفصلت العرى.

(١٦)

يضيق عنا الكون رغم انفساحه فنعجز عن مجرد الوصول ووضع جريد النخل رطباً علي قبور أوليائنا الذين باتت أجداثهم تتباعد دونما جفوة أو عقوق عن مضرب العشيرة ومرقد الأبوين.

غاب الكتف الذي يبكى عليه

ونأى الشاهد الذي يشكى إليه

ألا رحم الله الأحباب وجمع بحكمته الأقراب

(١٧)

كان في ما حكى لي أبو مالك حكايةً عن
شاب ساقه الدرب إلى سرحان. لم يمكث بينهم
طويلًا حتى آنسوا فيه الكفاءة فقدموه للصلاة.

مات الشاب الورع إثر علة أصابته ولم تمهله
قليلاً فكان فيما رأوا نوراً يجتاح الفسحة ليلاً
من موضع غسله إلى موضع قبره وبالعكس؛
تكررت هذه الظاهرة حتى شهدها جميع أهل
الحلة ولم تنتف حتى أطل الصبح بوجهه
الكريم.

يقتفي النور آثار هؤلاء وتكتب لهم الزيادة
قدر ما استقامت سرائرهم مع الله ويأبى
المولى إلا أن يشهد الكون على
كرامة بعضهم وإنّ سر
أكثرهم لمكنون

(١٨)

من هؤلاء المتخفين الفكي آدم «الملقب بدنيا راقدة» الذي كان ملازماً لسياد النقارة* فكانوا يستشيرونه في أمور دينهم ودنياهم.

اصطحب أبو مالك يوماً فلما كانوا على أطراف المدينة، وقف ورسم خاتم سليمان وأشاح بكفه عن التراب فأنشقت البسيطة عن غلة حمرة «عيش» ممتثلة لأمر بارئها

قال: يا أبو مالك احنا الدنيا لو دايرنها عارفين دربها لكنا عايزين الآخرة!

(١٩)

إذا رأى أحدهم إنه يجامع إحدى محارمه في المنام فذاك أمر يطلبه ويتحقق له مراده منه حسب تأويل الشيخ قيس الكلبي.

(٢٠)

رأي أحدهم الشيخ أسامة بن لادن بهيبته الأسدية وإبائه الحسيني وهو يُقتاد بالسلاسل إلى محكمة ذات أبواب خشبية، مهيبة وعالية.

لم تمض أيام حتي كان سبتمبر المشئوم. هرع الشاب إلى جاره مفسر الأحلام. سأله الأخير إن كان ثمة شيء نسيه ولم يطلعه عليه؛ أجابه بالنفي لكنه استدرك لاحقاً بأنه رأي «أبو عبدالله» بلحية سوداء لا يتخللها بياض خلافاً لما كان عليه حال الرجل.

قال المفسر: إن الرجل صاحب ولاية كاملة وإنه سيمتحن بمحنة لا تنال من دينه، لكنها تصيب المسلمين بانفصام يجعلهم يتأرجحون أبد الدهر بين رفضهم لأسلوبه وإيمانهم بعدالة قضيته!

(٢١)

متى ما أغتنى الرجل أو استقرت حالته الوظيفية فإنه يرى إنسية غير التي اقترن بها

لثلاثة عقود خلت
ربما بهرته حينها قفاطين أبيها
أو «لعالع»* أخيها!

(٢٢)

الامتثالُ أمامَ المحكمةِ الجنائيةِ تَصرفٌ لم
يكنْ مُستغرباً من كنياتَا رئيسِ دَولةِ كينيا
فهوَ نجلُ أسد الغَابِ الذي أجلَى المستَعمرَ عن
بلدتِهِ بحَربتِهِ والنشابِ*؟
ما فتئَ الشبلُ يقدل* فِي المرابيعِ
حتّى سمعنَا نقيقَ الضفادعِ.

(٢٣)

أقيم في الدوحة مؤخراً حفل وداع علي شرف
السفيرين، الزوجين السيد أحمد التني وزوجه
الفضلي فاطمة البيلي، والذين أفنيا زهاء أربعة
عقود في خدمة الخارجية السودانية؛ كانت
آخر محطاتهما دولة قطر، قبل أن يحالا قسراً
إلى المعاش.

فات الحضور أن يذكر أنهما بأفعالهما الحميدة إنما يتصرفان على السجية لأنهما جاءا من أسر عريقة فيها وبها قيم مرعية.

(٢٤)

إنَّ مزاجَ الرجلِ يتعكرُ

ثلاثةَ أيامٍ فِي الشهرِ

لَا تسألِي عن السببِ فلربما أصابَهُ مَا

اعتراكِ مِن الوهنِ أو ما يَغالبُهُ مِن الشجنِ

(٢٥)

إن دارفور تمثل العمق الوجداني للسودان، بيد أن من يقرأ قصيدة «سبل كسب العيش» يجد هذه البقعة الجغرافية على ضخامتها قد اختفت تماماً من مخيلة المؤلف الذي وقف علي مشارف بابنوسة ولم ينس مشكوراً أن يحتفي بذكر ذبابتها التعيسة.

لعل المقاومة الوطنية وما تبعها من عقوبات

جزائية لم تتسبب في استبعاد دارفور من دائرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فقط، إنما أيضا استبعدتها من الدائرة الثقافية.

(٢٦)

تَحكي لنَا أمُّ سماعة بنت أبي رهب أنّها شهدت آمنةَ بنت وهب في علَتهَا التي ماتتْ فيها ومُحمدٌ غُلَامٌ يافعٌ قد أكملَ الخامسةَ واقفاً عندَ رأسهَا

وهيَ تخاطبُهُ خطابَ مُودِّعٍ:

بارِكَ اللّهُ فيكَ مِن غُلامِ

يا ابنَ الذي مِن حَومةِ الحِمامِ

نَجَا بعونِ الملكِ المِنْعامِ

فُودِيَ غداةَ الضربِ بِالسهَامِ

بمائةٍ مِن إبلٍ سُوامِ

إنْ صحّ مَا أبصرتُ فِي مَنامِي

فأنتَ مَبعوثٌ إلَى الأنامِ

مِن عندِ ذِي الجلالِ والإكرامِ

تُبعثُ فِي الحلّ وفِي الحرامِ

تُبعثُ فِي التحقيقِ والإسلامِ
دينِ أبيكَ البرِّ إبراهَامِ
تُبعثُ بالتحقيقِ والإسلامِ
ألا تواليها مع الأقوام
فاللهُ أنهاكَ عن الأصنامِ

وقالتْ:

كلُّ حي ميتٌ
وكلُّ جديد بالٍ
وكلُّ كبيرٍ يفنى

أنَا مَيتةٌ وذِكرِي بَاقِ
وقد تركتُ خيراً وولدتُ طُهراً

.... ثُم مَاتتْ

يقولُ الحبيبُ عمر بن حفيظ مُعقباً عَلَى هَذَا المشهدِ المهيبِ:
«أبعدَ هذا يتقَوّلُ مُتَقَوِّلٌ

إنْ لم تَأمن آمنةُ فَمَا أمنَ فِي المَحشرِ أحدٌ.»

وفِي عقيدةِ مَشايخنَا أنَّ أبَويْ النبي صلي اللّهُ عليه وسلمَ ماتَا علَى الحنيفيةِ الإبراهيميةِ، بل إن الله أحياهُما فشهدا عَلى رَسالةِ ابنهما، أي إنّهمَا مُسلميّنِ صالحيّنَ.

(٢٧)

قبلَ قرونٍ خلتْ

قالَ الشيخُ بنُ العربِي:

إذا اتحدَ اليهودُ معَ النصارَى
وطارُوا فِي السماءِ عَلَى البروجِ
وصارَ المَسجدُ الأَقصى أسيراً
ورأسَ الأمرَ رباتُ الفروجِ
وحربُ فِي الخليجِ لها أزيزٌ
وسلطانُ الحجازِ مَعَ العِلوجِ
ففِي حربِ الكواكِبِ سوفَ تفَنَى
مدائنُهم معَ زيتِ الخليجِ

(٢٨)

اللهم أجلِي عن مرآتِي الكَدَر
كي أنظرَ إليكَ بعينِ البصرِ

(٢٩)

الشخصية العربية «السودانية والجزائرية خاصة» شخصية زئبقية تستفزها أبسط المواقف «وقد تتباطأ في التفاعل مع أشنعها».

إن شدة حساسيتها نابعة من شعورها المستديم بالظلم أو إمكانية حدوثه ولذا فهي تتنقل بين السخط والرضا دون أن يحكمها ضابط منهجي أو سلوكي، لا يختلف في ذلك الأستاذ الجامعي والعامل البسيط.

يا ترى، هل استحال الاخفاق المؤسسي إلى خلل جينيولوجي؟

(٣٠)

ما فتأ المثقف يبيع وصفة أخلاقية سياسية خالية من أي مضامين تنموية حتي انفض الناس من حوله، وهو ما زال يتساءل: لماذا انفض سامرهم؟

لأنهم ببساطة انعتقوا من الخرافة



من أعمال التشكيلي نصرالدين الدومة

تورق الأرواح أجساداً

(١)

كنّا ونحنُ صغارٌ نسترقُ السمعَ لأحاديثِ الكبارِ الذين كانُوا يترخصُونَ فِي لغوهم خاصةً إذا انصرفَ الضيفُ أو غلَبَ الكيفُ.

ربّ هاوٍ ذكر فرسَهُ فشجي بمدحِ جنسِهَا قائلاً:

يَا فَنادِيك البنات* كان غلبن سَمْحَاتْ

يَا قَدَادِيم النّسُور* الفِي السمَا طَايرَاتْ

أو

غاوٍ طَرَى حبهُ فتلهّى بقولِهِم:

بناتْ حواءَ عَناقِريب الليلْ مَطَامِير الفلكْ

يَهفُونَ ويَرغُون ريثَمَا يذكرهم أبو السعود بِجماع الحكمة؛ الدنيَا حلاتّ تتين (اثنين):

سُروج وَفُروج!

(٢)

في مثل هذه الأجواء المنفسحة وفي الليالي القمرية المنطرحة كان الفتيان والفتيات يلعبون «شليل وينو» و «حاره وشتت» والكل يمني نفسه بالمرح. ما فتأ الفقيه يذكرنا بالشبهات ويذم إلينا اللهو حتي وقعنا في المحظور.

«بقدر ما نقدس الجسد ونحوِّله إلى كتلة محرمات ونلصق به ونضفي علِيه مِن دلالات غيبية بقدر ما تحتشد المرأة إنفعالياً ويشحنها كل ذلك بعواطف ومشاعر وتصورات بدائية التفجر عصية على السيطرة والضبط».

«صوفية السحيرة في مقالتها الجسد والمجتمع بكتاب المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية: ١٥٨».

(٣)

منع الوالد ابنه من الذهاب لممارسة ركوب الخيلِ في ساحة من ساحات المدينة. خرج متبرماً، فلقيه عمه الذي جاء للتو من القرية،

قال: يا صباح العيد، ما الذي يغضبك؟

الفتى: منعت من الذهاب إلى نادي الفروسية

العم: وما العلة؟

الفتى: التركيز في دروسي وأداء الواجبات

العم: «يا ولدي الخيل والعيين دهرين ما بكمل، وقت ما تسوي المال بجنك وحيتن!»

(٤)

لم أصدق إنني انعتقت حتى ناداني والدي صبحاً لاصطحابه لأداء صلاة العيد الكبير في القبة «مسجد الخليفة».

جاء أحد الأئمة «العصاميين» من آل البيت الطيبين فقرأ في الخطبة الأولى موعظة ورثها من جده، فلمَا أراد التعويل على فكره في الخطبة الثانية، سأل المصلين متعجباً:

كانت هذه الساحة تمتلئ يوماً بسبعين ألفاً من المجاهدين، أين هم اليوم؟ التفت إلي صاحبي بالجنب متعجباً:

أنحن المعنيين بهذا السؤال أم هو؟

لم يعزف الأنصار عن صحبة هؤلاء الأئمة حتى زهدوا هم في إرثهم. ولم يهن علي الاتباع يوماً تصدع هذا الصرح العظيم حتى بات بقاؤه عبئاً على الضمير الوجداني وتنكباً عن الميثاق الوطني

(٥)

أشفقت على والدي وشفقتي على نفسي أكبر:

فانقطاعه عن هذا الموروث «رغم بلائه» يعني موته

أما استمراري في هذا الدرب «رغم صفائه» يعني بالضرورة موتي.

لكل روح معراجها

ولكل فكرة رواحها

(٦)

توفيت عن مليكنا زوجة له يحبها ويجلها فكان إذا عزم على زيارة قبرها يترجل عن

فرسه مسافة ميل ميلين، فإذا حياها وقرأ على روحها الفاتحة طفق راجعاً على قدميه مسافة لا تقل عن الأولى وذلك قبل أن يمتطي جواده

ما من تحية أبلغ من الوفاء
ليس أجلٌ من الحب حال الفناء

(٧)

لن اقتفي أثركِ
فقد بلغنِي خبرُكِ:
لحظُكِ ...
طَرقٌ فِي هجيعِ الذاكرةِ
هَمسُكِ .....
خطٌ فِي مُنتجعِ الروحِ
سَهوَكِ ....
ميلٌ عن مُرتجى الذاتِ
لطفُكِ ....
عطرٌ فِي غديرِ الشهوةِ
نبضُكِ..............
نهدُ فِي بحرِ الرغبةِ

(٨)

أنتظرُ نشرةَ الثالثة كي أشاهدَ بنتَ الزياني
وهي تختالُ، فالجمَلُ تنثالُ من بينِ ثنايَاهَا
والجمالُ

ربَّ أغنيةِ أدّتها أحلام بدتْ لِي نَعياً
وربّ حربٍ دشّنتْهَا فيروز غدتْ عندِي طَرَباً
فرقٌ كبيرٌ بينَ المَلكةِ والتصّنعِ

(٩)

ظننتُ أنّ الإبداعَ قد ماتَ وانعدمتْ بواكيرُهُ
حتّى سمعتُ الفنانَ طارق أبوعبيدة يُؤدِي
المِسدارَللقدالِ في تناسق رائع بينَ القصيدةِ
واللحنِ والأداءِ:

أُمّاتي القبيل بي حنهن لقني
كرفة* وقلدة كيف شوف اللب
رجنّي
حزناً جاني في
ميع الصبا يلجني أطلع
مني يا جلدي المنمل* جني
واطلع مني يا حزنًا بقى مكجني

خلني أبدا مُسداري*
واودي قفايا لي داراً بقت مي داري

أدركتُ حينهَا أنّ مجردَ الغناءِ بطريقة غيرِ مألوفة أمرُ تحاربهُ السلطاتُ كي لا يتّحفزَ الشّعبُ للتفكيرِ بأسلوبٍ غيرِ معهودٍ

(١٠)

رزئنا في كرومة حتى ظننا أن لن نرزق بعده فكان الكاشف، لم نودع الكاشف حتى بهرنا محمد وردي بإبداعه.

أهنيء صديقي جابر حسين على تدشين كتابه الأخير عن وردي، فهذه أنبل هدية يقدمها لنا وللشعب النوبي العظيم.

من كجراي إلى وردي، أهنئك أيها المهراز على صحبة أولئك النفر العزاز

(١١)

لم أكن أدري بوفاة محمد وردي حتى رأيت التشاديين يعزي بعضهم بعضاً في سوق

إنجمينا، حينها أدركت بأننا ظلمنا أنفسنا بعدم الانفتاح على الحزام السوداني لكنه بؤس البصيرة، عند النخب المركزية وسوء التخطيط الاستراتيجي لديها، هناك ما هو أخطر المركزية الثقافية التي جعلتنا في هامش الأمم العربية، الهندية، الفارسية، التركية، إلى آخره.

لو كنا بارعين هندسياً لاستطعنا أن نكون مركزيين في هامشيتنا ولانكفأنا على ذواتنا المروية، البرناوية والمالية «من مالي حيث ازدهرت حضارة تمبكتو»

(١٢)

إنّ الأصالةَ شجرةٌ ضاربةٌ الجذورِ في أرضنا، ما أنْ تُسقى بماءِ الحكمةِ حتّى يَخضوضِرُ الفرعُ وتنفعلُ العرَوقُ محدَثة بتاريخِ الشَموخِ وعُنوانِ العبقريةِ

(١٣)

بالتفكير العلمي يصبح المجتمع أكثر عقلانية، حينها يمكن لذلك المجتمع أن يسأل عن الأشياء ويتدبر في معانيها

لا يزال الخوف يدحرنا* عن مجرد السؤال والعجز يمنعنا حتى بذلنا همتنا

في القتل، الصلب والنهب....

هل آن أوان الإفاقة أم ليس بعد؟

(١٤)

قلما نسعى لفحص الأمثال العامية، بل الأدهى هي أننا نتقبلها على أساس أنها حكم.

من تلك الأمثال:

ود الخادم زي الشرا في القندول، يمشي عديل ويرجع يدنقس «بمعنى ينحني».

الواقعِ أن المشكلة اجتماعية وليس جينية «أو جنائياً» كما يتوهم الراوي، فالمجتمع لا يفتأ

يعامل ولد الخادم «حمرة أو زرقة» معاملة تعطيه إحساساً بالدونية حتى يتنكب الطريق

(١٥)

أخذتني حالة من الإنبهار بالحضارة الغربية ونحن نتجول وإذا شئت نتسكع في شوارع بون فقلت لشقيقي: بالله عليك ما الذي يحوج هؤلاء الألمان إلى الإسلام وقد بلغوا مرتبة الإحسان؟

قال لي مصوباً أوروبا في أمس الحاجة إلى روحانية وليس دين بالمعنى الأرثوذكسي.

إذا صدق الفتى، فإن لابن عربي والبرعي والحلاج والسهروردي وشيخ ناظم القبرصي سياحة لم تنته بعد؛

إن الفتح الأكبر لا محالة قادم على رأي الصادق المصدوق.

(١٦)

الخفاضُ جريمةٌ لا تقتصُر عَلَى بترِ الشفايرِ
لكنّه جرحٌ له أثرٌ في النفسِ غَايراً
أُنثَى بلا جيدٍ ولا خصرٍ
ولا مِعصم، هي مَعلم
أنْ تكونَ امرأةً أنْ تكونَ إنساناً!

(١٧)

أخشى أن تتسبب هذه الحروب في استنزاف العالم العربي والإسلامي مادياً ومعنوياً وأن يظل ابتدارها مدعاة للتهرب من خوض المعترك في ميادينه الحقيقية
داعش

(١٨)

إذا أدركنا أن نصف التلوث في العالم سيكون من نصيب القارة السمراء بحلول عام ٢٠٥٠، أيقنا أهمية الممارسة المحلية برؤية إقليمية

ودولية

(Act locally think globally)

إن للحوكمة دوراً في تفريق السحاب

كما لها دور في تعزيز دور الطلاب

(١٩)

وإذ هي تعويض عن فراغ معنوي وبؤس مادي فالفياغرا لن تجدي

لا يسعنا إلا تدارك منظومتنا الأخلاقية من الانهيار والفكرية من الاندثار

(٢٠)

أمّن الشيخ ود بدر على دعاء الحاج حمد الملِّح في طلب الجنى بقوله:

أديتك حياتي دا رميد القنا أنا بذاتي.

لم يبلغ الشيخ حياتي الحلم حتى فاض قلبه بمحبة النبي ونضح فوه بمدحه صلي الله عليه

وسلم. كان فيما قال:

جَابَنْ لِي النّسَايِم نَدّا لِى قَلـْبِى الملَوّع هَدّنْ
البُكى والسّهرلِىْ عَدنَ لوْلا شِوَيّة رْوحى يَعَدّنْ
صَلَواتْ خِيرِ لا يَنْرَدّنْ رَاجِى حَيَاتِى لَىَ يَمُدِّنْ
مِنْ مَعرُفهن لِى ألْيَسْدَنْ لِفْتُوحاتْ أمُورِ يَسِدّنْ

....

مذاق الشهد
في مكابدة الوجد
ومن رزق المحبة
طابت له القربى

(٢١)

تجيشُ نفسِي، فأخالُكَ اصطفيتنِي
وأهفو فأحسبُكَ جفوتنِي
حاشَاكَ ربّي أنْ تُعَابِي
فسمتُكَ اللطفُ

(٢٢)

تتعطل المواهب الفطرية لدى المغترب فتموت بداخله جميع الحواس ما عدا حاسة البقاء التي تجعله يتوجس حتى من العلاقة بالآخر.

شكوت إلى احد الخبراء زيادة تكلفة التعليم بالنسبة للعيال، فنظر إلى متعجباً ولسان حاله يقول:

لا يستنظر منا أيها الأخرق أن نفكر سوياً ولا ان نعمل جماعياً إلا في حال الدفن

حينها نكون قد تخلصنا من مروءتنا ومن الميت رحمهما الله!

(٢٣)

في الوقت الذي يتجه فيه العالم نحو العالمية، نلاحظ أن أبناء المغتربين «والذين كنا نتوهم الغرابة في سلوكهم، إذا لم نقل البلاهة» قد اكتسبوا معرفة حضارية وتمثلوا سلوكاً إنسانياً بزّوا به المغرقين في المحلية والمغالين في العنجهية

لن تزل قدم إمريءٍ حتي يدرك
شأن الأكوان في التمدد، التبدل والانفساح

(٢٤)

مقولة «الغناء الهابط» هي عبارة عن موقف أيديولوجي اتخذته النخب لدرء خطورة التغول على منظومتها «الأخلاقية» من قبل الشرائح التي رأت في الغناء مناسبة لتسجيل موقف احتجاجي من الظلم الاجتماعي.

بغنائه سجل الرجل الأسود موقفاً رافضاً في إفريقيا وأمريكا اللاتينية جعل أولاد البيض وبناتهم يتسللون من بيوتهم ليلا لسماع كلمات ربما ساهمت في تشفيف نفوسهم، وتنوير عقولهم وتوسيع مواعينهم الفكرية.

ألم يأن لنا أن نسجل إشادة في هذا المعنى للفنان العظيم بوب مارلي؟

(٢٥)

لا يعدم شعب من الشعوب وجود سواقط «أو هُمّل» لديه، لكن وجود هؤلاء على قمة الهرم

السلطوي والسياسي والإعلامي فأمر يستحق أكثر من مجرد تدوين لانطباعات «ولو بصورة أدبية: من هؤلاء ومن أين أتوا؟»، إنه أمر يستدعى عمل دراسات اجتماعية ترصد الظاهرة في بعدها السلوكي والمؤسسي:

ما هي المؤسسات التي ساعدت على تكثيف هؤلاء؟ كيف عجزت عن ترويضهم؟ كيف يمكن القضـــاء عـــلى الحواضـن التي تعمل على تفريخهم؟

(٢٦)

رعى الناظر إبراهيم موسى مادبو قومه رعاية حفظت لهم حقوقهم كما منعتهم من التعدي على حقوق الآخرين، فاستحق بذلك ألقاباً كثيرة منها «خشم الباحش»، «وش الفيل» «لقب كان يحبـه الإنجلـيز»؛ أشـــهرها «قيد البكر.»

بينما هو يتأهب للجلوس على كرسيه إذ به يـرى إعرابيـاً جالسـاً عـلى مقـربه من مدخل المحكمة.

سأل: أليس هذا فلان ول فلان الذي حكمت عليه بالسجن قبل شهور

أجابوا: نعم

سأل: من جاء به إلى هنا.

قال الغفير: لا ندري عنه.

قال: نادوه.

قلّب الناظر الأمر في رأسه بينما الفتى يتقدم فأحتار لأنه يدرك أن جناب المفتش الإنجليزي لا يمكن أن يتساهل في جريمة سرقة، كما لا يمكن لشخص أن يتدخل في شأن القضاء أو أن يطلق سراح المساجين بالفاشر. لكنه أراد أن يستوثق من الموضوع قبل أن يصدر أمره، فقال للسجين: شنو الجابك هنا؟

السجين: أديني الأمان يا عم الناظر

الناظر: أديتك الأمان

السجين: بينما أنا مغتم إذ برجل يدق على باب الزنزانة، قلت من؟ قال لي: صحبك فلان.

قلت: ما الذي جاء بك إلى هنا.

قال: استغاثة ملهوف سمعتها وأنا في البحر الصبحاني «مسيرة شهر بالدواب».

فتح العبد الصالح بابِ الزنزانة وأزال القيد بمجرد اللمس. نظر إليّ مشفقاً وقد ساءت حالتي،

وقال: إذا أنا توجهت صعيداً، فضع يديك على ظهري وغمض عينيك.

وهآنذا يا عمي الناظر أمتثل بين يديك طلباً للعفو والمغفرة.

نادى الناظر، بعد أن شهد على قدرة الله وحكمته بقوله المأثور «سبحانك يا حكيم»، نادى عشيرة الرجل الأقربين وأخذ عليهم الميثاق، فتكفلوا بأداء الأمانة إن رجع الرجل عن عهده وحنث،

أصلح الله حال الرجل فكان من القانتين

لا تزهد الرعية في الصدق حتى يزهد الراعي فيه ولا يصلح الله حالهما معا حتى يرغبان في الرحمة والعدل «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ».

(الرحمن: ٧-٩)

(٢٧)

إن الاستبداد كامن في ثقافتنا السياسية والاجتماعية كمون النار في العود. وإن أي محاولة لاجتثاثه عسكرياً قد تحدث حريقاً يستحيل إطفاءه

القاعدة

(٢٨)

لعلّ عَاشُوراء تُذكرُنا بأنّ نهوضَ الأمم مرهونٌ باتساقهَا مع ذَاتها، وإلّا لما تأبّى الكَليمُ حتّى رُدّ ليرضعَ من ثدِي أُمهِ!

(٢٩)

الظروف الفارغة برهنت على أن الذخيرة التي اقتتل بها الرزيقات والمعاليا مؤخراً ويقتل بها آخرون من شعوب السودان يتم إيصالها بواسطة متعاونين في الخرطوم.

متى يفرغ السادة الضباط من توفير الكميات اللازمة من حديد وأسمنت لتكملة عمارتهم

كي يتسنى لأهلنا إطفاء الحرائق ومن ثمّ
استعادة نسيجهم الاقتصادي والاجتماعي؟

(٣٠)

من الرجالِ من ينطفئ ضوؤه وينعدمُ ألقُهُ
في عمرِ العشرينَ ومنهُم من يظلُّ ذهنُهُ متقداً
حتّى عمرِ الثمانينَ، أو يَزيد ....

ليس العلةُ في المشكاةِ إنّما الاعتبارُ بالمصباح
الذي أظلمَ وأضاء بقدرِ ما غشيَهُ من المددِ ومَا
غَارتْهُ مَن الأنوارِ

(٣١)

الاتساقُ يجبُر همةَ الزوجْينِ
أمّا النفوُر فيربُكُ المُتَشابهيْنِ

تُورقُ الأرواحُ أجساداً
فَتستحيلُ الملامحُ
أعوَاداً وأورَاقاً



الفنانة التشكيلية السعودية أمينة الناصر

أنين الميزاب وبكاء الأرباب

(١)

الصّمدِية

....

ألمحُ شيخاً يتقدمُ الصفوفَ مُتأنياً
وجلاً يصطف لصلاة الفجرِ بالحرمِ
لا يفرغُ الأمامُ حتّى يكونَ
قد نشرَ سجادتَهُ مُنتظراً الشروقَ
يشهدُ المسلمينَ في تَبتلهم للّهِ
وإعراضهم عمّا سواهُ
يُغريه استغراقهم في الذاتِ العليةِ
يُلهيه اختلاف مَشاربِهم
ليس أبهى من زركشة ثيابهم
ولا أدعَى من توآدهِم وتراحمِهِم

ما بينَ حَانٍ عَلَى رفيقته بالمعزةِ
وأخر مُوثقٍ عهدَهُ ببنيَة بالمبرةِ
أمٌ ترمقُ ولدهَا وهو يلعبُ، تنتهرُهُ،
تطلبُه بالرفقِ، تتعهدُهُ بالرعايةِ وهَوَ يكبرُ

كَي لا يغفلُ عن مقاصد الدينِ الحنيفِ
ولا يقنعُ من العبرةِ بالقشَرةِ

****

أبتْ الرافعةُ إلاّ أنْ توثق للمسلمينَ محنتَهم
فأبوا هُم إلاّ أنْ يتسقُوا برضاهُم
مع حركة الكونِ
وأنْ يعتمرُوا تلبيةً لاحتياجَاتِ الذات
قبالتي ما زالُوا، المسلمون وهُمَ يطوفُون
بالبيتِ العتيقِ
يُرددُون أنشودَةً للكونِ سخيةً:
لبيكَ اللهم لبيكَ
لبيكَ لا شريكَ لبيكَ
إن الحمدَ والنعمةَ لكَ
والمُلكَ لا شريكَ لكَ لبيكَ

****

حاجةُ الإنسانِ في الالتجاءِ
إلى الشهودِ الحسي قديمةٌ
مُباهاةُ الديانِ في قبولِ المقصودِ
من عبادِهِ عظيمةٌ

****

وأنتَ في انجذابكَ يتجاوزُكَ كهلٌ
وهو يدَعُو بدعاءٍ مأثورٍ
خلفهُ عجوزٌ
تَلحنُ بحجتَها في غير مَا جَرس
إمرأةٌ زنجيةٌ تتمتمُ بكلام لا أفهمهُ
لكننِي أحسهُ وأعشَقهُ

ونحنُ في الشوطِ الرابع يمرُ بنَا
شابُ وجيهُ يقرأُ من آلِ عمران

تجاوزنا الركنَ اليماني
ونحن نتلو وإيّاهُ قولَهُ تعَالى:
«شهدَ اللّه أنّهُ لا إلَهَ إلاّ هُوَ
والمَلَائكةُ وأُولُو العلم قَائماً بالقسْطِ لا إلَهَ إلاّ
هُوَ العَزيَز الحَكيم»

أمن أحدهم بقوله: اللهم اجعلنِي مِنهم

بلغنَا الحِجَر الأسعدَ
فأسعدنا اللّه بالكلام الحق:
«إنّ الدينَ عندَ اللّه الإسلامُ»
افترقْنَا من شِدةِ الزحام

عندَ الشّباكِ سمعنَا مُنادياً يُنادي:
يَقبلُ اللّهَ عبيدَهُ كما هُم.....
ويَنْدُبُهُمْ لِلخَيْرِ، إِذْ لا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُحَيِّدُوا

هَرعتُ إذْ رأيتُ
عندَ المقام شيخاً يلهجُ بالبردة
حَلتْ عليهِ وَعلينَا بِالبرد والسلاَمِ

لم أشأْ أنْ أُفارقَهُ بيدَ إنّهَا
لوحةٌ بهيةٌ ارتسمتْ في الوجدانِ
ولحظةٌ شجيةٌ يهتزُ لها الكيانُ

ما بدتْ فُرجةٌ
إلاّ أتمتهَا الملائكةُ بالكمالِ
وتعهدَها الإنسانُ بالنقصانِ

أمزجةٌ وأشجانٌ
شعوبٌ ووديانٌ
آوتْ إلى ركن شديد
الملائكةُ مُمتثلين والعبيدُ راغبينَ
كلهُم تقبلهُم الصمديةُ
بلونِها الأسودِ الذي يجتذبُ
الجوهَرَ ولا يَحفلُ بالمظهرِ

جلّ جلالهُ وتقدستْ أسماؤهُ
يتلقّى ربي حجة النبيهِ
ويُدركُ نيةَ غيرِهِ

للّه دَرهم رجالٌ لا تُقامُ
اَلصلاةُ في قُرَاهُم إلاّ
عند الكعبةِ تَرَاهُم
اللهم افتح لَنا عينَ القلبِ
كي نرتقِي بأفهامِهِم
ونتحلّى بآدابِهِم

* * * * * * *

قُبالتِي مَا زالُوا،
المسلمين بعظمتِهم وكبريائِهِم
الذي تعمد القَادةُ إغفالَه
فعجزتْ عن ترجمته أعمالُهُم
لَا غَرو، فإنّهم ضَاعُوَا وأضَاعُوا

* * * * * * *

أسمعُ شقشقةَ الطيرِ
تَهفو نفسِي للشروقِ
ربَّ يوم تشرقُ فيه النفوسُ
وعنده تؤدي للناس حقوقَهُم
وتتحققُ بهِ آمَالُهُم
(اللهمّ آمِين)

(٢)

إذا مَاتتْ أمْ ابنِ آدم نزلَ ملكٌ مِن السماءِ
مُعزياً ومُحفزاً بقولِهِ:
ماتتْ التِي كُنا نكرمُكَ لأجلِهَا
فاعملْ الآنَ ما نكرمُكَ لأجلِهِ

وثق لمحنتك وابكِ ما شئتَ
فلم يبقَ مَن يُحس بآلامكَ مثلُهَا
هي مَن تعطِي دونَ مُقابلٍ

تساهرُ ولا تغامِرُ
تُسَامرُ ولا تشاجِرُ

(٣)

حراس الأرثوذكسية الدينية وغيرها في زمن
الحداثة يمسكون بحلقة باب لحديقة ليس
لها سور، فليقطف الأحرار من جميل الأزهار
وليلجوا من أي الاتجاهات شاءوا!

(٤)

ثلاثة شروط لا بد أن تتوفر للكاتب: جسارة التفكير، صدقية التعبير، وحرية الضمير. وكل ذلك لا يؤهله لنيل ثقة الجماهير، فلينظر أي قضاياها كان يخدم:

التخدير أم التنوير.

(٥)

استحالت كل القيم الروحية في عهدهم إلى أصنام مادية عبدها النجديون ردحاً من الزمان فيما زال شيوخهم يتشدقون باسم التوحيد.

بأي لغة يلهجون وأي صمد يقصدون؟

طالت المناجاة وظهرت المحاباة. ليس أضر علي الدين من غيور جاهل أو مغرض ماهر؟

(٦)

إذا ما لاح له الأفق أحس إنسان الصحراء بأنه عرضة ولذا فهو يبني قيعان بداخله حذراً؛

يماثله في المكر إنسان الجبال لأنه لا يرى ما وراء الشاهق.

(٧)

لا يرتقي الإنسان بمثل ما ارتقى من الذنوب. فهي التي ترزقه التواضع وتشعره بآدميته، كلما هبط برهةً في الغواية كلما ارتقى سلماً في الولاية.

(٨)

الكاتب الذي يستخدم براعته اللغوية للتعويض عن المعني كالمتحفز لفعل الإيلاج منتصباً بعد أن فقد الأمل في توليد الأفكار.

(٩)

لم تجد الأنظمة الاستبدادية عبر التاريخ أفضل من الطهرانية وسيلة لوأد الإنسان فردانيته وحرمانه من حريته.

(١٠)

ابتلي أحدهم بمرض خبيث عمَّ كل بدنه؛
كانت أمه كثيراً ما تتألم لرؤيته لكنها تتألم
أكثر عندما تري قرينته.

رب داء ترجو لنفسك منه الشفاء
وآخر تري في فراقه عظم البلاء

(١١)

مومس تنالها بخمسين دولاراً ليست بأطعم من
أخرى تمتلكها ذات ليلة بخمسة آلاف دولار
......
انتهاكك لحرمة بشر خسة لا تدانيها خسة
ودناءة تطفح فوقها الأوراق.

(١٢)

من خلال اكتسابه للمال ينال المرء في النظام
الرأسمالي رُقياً حضارياً ومعرفياً؛ هي إحدى
القيم التي ضاعت في زمن غسيل الأموال.

دون أن يصدروا مرسوماً سيادياً يشرف
أصحاب السلطة اليوم علي إضاعة كل قيمة
لها صلة بالشرف.

(١٣)

جاء نفر من قرية أم غلمان لزيارة الشيخ
عبدالرحيم البرعي «راجل الزريبة»، فسألهم
عن معاشهم فأعلموه إنهم يستيقظون الثالثة
صبحاً ليبلغوا سوق أم صميمة. فقال لهم
«الساعة ديك لو قمتوها لي الله لجأكم سوق
أم صميمة لحدي عندكم»

أبلغهم بكلام مولاهم ففهموه،
أودعهم سره فتناسوه.

(١٤)

لا أشك لحظة في أن الإنسانوية هي دين
الأنبياء جلهم؛ بيد أن خمول الأتباع أحوجهم
إلى التدرج، كما أن بلادة بعض الفقهاء
أحوجتهم إلى التوثيق.

(١٥)

ليس أشق من مهمة معلم يحتاج إلى زحزحة تلميذه من موطن اللا إحساس إلى موطن الإحساس كي يبلغه مأمنه

(١٦)

«علاوتك مقابل حرمان الأجنبي»

شعار اعتمدته الأنظمة الرّيعية لاكتساب الشرعية؛ شرعية لا تدوم حتي تلحق بعلاوة أخرى لا تسهم في دعم الإنتاج إنما توثق ماركة المنتوج: الولاء المطلق وغير المشروط لولاة الأمر.

(١٧)

«كان الزول ياخد نديدة أمه ما يقعد مع بت أمه»

مثل يضرب في باديتنا للشخص الذي يرغب في المكوث ضيفاً على أهله دون أن تكون له همة في تحمل المسؤولية أو نيل الاستقلالية

(١٨)

مجرد استعراضنا لمعايير الدولة الفاشلة ينبئنا بالخطر

قد لا يروق لشانئك أن يراك في المركز الأول، أما حصولك على المركز الأخير أو قبل الأخير فبما كسبت يداك ويعفو عن كثير!

(١٩)

عثمان أبوالقاسم كان مساعد طبيب بيطري في الضعين؛ فلما أن جاءت مايو وأزمعت على تدمير الهرم الأدبي والاجتماعي في مجتمعات الريف خاصة، ركب موجتها لينتصف من علية القوم.

قال مخاطباً الجماهير «عمكم الناظر دا من بكرة حيكون مجرد مواطن فقولوا له يا الجد شعبان أو يا حاج محمود ولا تقولوا له يا حضرة الناظر.»

بعد أن فرغ الناظر من إكرام الوفد الذي كان برئاسة أب عاج قال موجهاً كلامه للهاشمابي «إشارة لجدهم الفا هاشم» «انتو خور عمر ال جيتو منو دا فوقو ألمي ولا

فاضي؟» قال له «فاضي،» قال له «يا ولدي كمان عمك الناظر دا سيظل ناظر حليتوا الإدارة الأهلية ولا خليتوها.» واسترسل موجها له الحديث، «أنا الضابط عندي والدكتور عندي والسفيه الزيك دا برضو عندي!»

(٢٠)

يثير عدم تطور اللغة حساسية لها صلة بالمواعين التقليدية التي لا تتسع لاستيعاب الأفكار الحداثوية، إنما فقط الإبقاء علي الأمة في خانة المستشعر واللامعقول.

إذا قالوا فلان خطيب فاعلم إنه مفوَّه جاهل

ولا تحسبه متكلم عاقل

(٢١)

الإنسان الخليجي أحسن من تتعايش بداخله شخوص متعددة قد تصل أحيانا إلى درجة التناقض؛ ولو أن تأتي بأفضل الأطباء فلن

يستطيعوا اكتشافه فقد تعهد الانفصام إذ لم يجد بداً من اعتماد التقسيم الزماني والمكاني وسيلة للتوفيق بين التقليدانية والحداثة.

تبدو الشعوب مستعدة أكثر من أي فترة مضت لتلقي التنوير، بيد أن القادة يفضلون لها حالة الانفصام هذه لأن الاتساق يتطلب المواجهة علي جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية وليس فقط الاجتماعية.

(٢٢)

هل تظن أن المجتمعات العربية برئت من العلل التي أصابت المجتمعات الأخرى «لا سيما تلكم «الفاسقة» و «المبتذلة» و«المتبرجة»؟

إذا كانت الإجابة بلا فعلام التشدق والتنطع وفيما العماية والرياء؟

(٢٣)

النسبة التي تحمل علامة التميز في النبات والحيوان والتي تعين على تطور الإنسان لا تزيد عن ٢٪، بيد أنها باتت في العالم العربي الأفريقي مضروبة وذلك سبب تخلفه.

لا تصعق إذا علمت أن بعض النخب السودانية تستقي معلوماتها من مواقع الكترونية أعدت لتبادل الشمارات وتمرير الخبارات.

يا تري، من له مصلحة في هذا التسطيح الثقافي والإسفاف الفكري الذي من شأنه أن يقنن الإحباط وينشر اليأس؟

(٢٤)

المغتربون السودانيون قوم يعشقون الإدمان «المقيمون في الخليج والسعودية خاصة»، فالحرفيون منهم يخرجون من مصانعهم إلى حلق الذكر والمهنيون يهرعون من معاملهم إلى موائد الميسر. ما بين هؤلاء وهؤلاء مجموعة عشقت المجامـلات الاجتماعيــة فلا

العلا طلبـــوا ولا في الدنى زهدوا.

هم في منزلة بين المنزلتين، يجوز أن نطلق عليهم لقب «أصحاب الأعراف»

(٢٥)

لا يُسَر السودانيون هذه الأيام بشئ مثل سرورهم بمقالة كاتب سعودي أو إمارتي ربما امتدح بعض فعالهم أو أشاد بطيب خصالهم.

إن إعترافاً تناله من الآخرين حريّ بأن يجعلك أسيراً لأهوائهم، فاحفل بذاتك وأجعل لها مراساً.

....

إن شعباً احتفل بميلاد الكتابة قبل خمسة آلاف عام لا ينقصه سوى الرجوع لإرثه وعدم التنكر لبراعة أسلافه.

(٢٦)

رأت إناس حفيدة الشيخ الضرير فيما يرى النائم أن نسيباً لها يصلي بالناس

إماماً في الحرم.

قال لها أحد المشايخ: إذا كان صاحب الرؤيا قد هم بشيء فإنها أي الرؤيا «تحقيق ما تمنّي وقضاء حاجة من غني وعز وأمن وأمان»؛ زيادة عليه قال أبو ماجد «المؤذن» «صلاة الإمام في الحرم تعني القيادة والريادة ومسؤولية الأمّة»

مما يجعل الرؤيا أكثر بركة وأعظم كرامة أنها كانت في الليالي العشر من ذي الحجة.

(٢٧)

باستهدافها للتصوف ضربت المجموعات الوهابية المؤسسات التي كانت ترعى التوسط في العالم الإسلامي، بتآمرها على الاشتراكية اعدمت الأنظمة الرجعية كل سبل الليبرالية والعقلانية وها هي اليوم تحار في شأن الفراغ الفكري والروحي الذي خلفته سياستها

العاجزة وفشلها المتراكم.

ليت ضررها اختصر على ربوعها لكنه وللأسف انتشر إلى أطراف البسيطة محدثاً جلجلة وحروباً لا تنتهي حتي يكون النظام قد فقد شرعيته وطوى ما بقي من أرضيته. وما ذلك علي الله بعزيز.

(٢٨)

أوقف مسطول عربة أُجرة
بعدما ركب التفت إلى سائقها
وقال له «توديني* وييييين وأديييك كم؟»
صدفة كان سائق التاكسي متناولاً الصنف إياه، فقال له بعد أن أعاره نظرة ثاقبة
«أنزل هنا، وأدفع البتدفعو»

يصعب علي الخبير استحداث خطة استراتيجية إذا كان رئيس الدائرة نفسه يجهل الوجهة أو ملتبسة عليه الرؤية.

إذا أنت لم تحدد خطك الاستراتيجي فأنت تتبع خطاً رسمه لك الآخرون وإن بدأ أنك

تخالف موجهاتهم، وإن كانت لديك خطة
فأنت تحتاج إلي فنية الملاعبة
كي تتفادى أخطارهم.
«Game Theory»

(٢٩)

وَجفتْ أنجي لمّا أحسّتْ قُربِي
جَفَلَتْ لمّا أيقنتْ أنْ قدَ صادَهَا لحظِي،
كَالظبِي يَعتلُ التلَّ مَزهواً،
مُصطبِراً يلتقيهِ السهمُ مَبهُوراً.....

يَتعانَقَا فتحسبهُمَا جَسداً واحداً لا جسديْنِ،
يَتهامسَانِ فيغريهما تَحنِيسُ اللمى للشفاهِ،
وَتلهيهُمَا لمسةٌ فِي الخصرِ لا ينقضِي مُرادُها
حتّى تكونَ قد عَزّتْ كُلاً فِي مَصَابهِ:
لحظةً اسمُهَا الغرامُ!

(٣٠)

اعلم أنَّ شمسَ الأدبِ قد خرجتْ مِن مَغرِبِهَا
يومَ أنْ يُكرمَ رَموزُ الأدبِ العَربِي
«الأمواتَ منهم والأحياءُ»
وتوءد قيمُهُم الداعيةُ إلى التسامِي والتهادِي
للالتحاقِ بالركبِ الإنسانِي.



لوحة للتشكيلي محمد فضل

همس القراء عبر الأثير

(نمـــــاذج)

الأخ الكريم سليل المجد والسؤدد لكم أنا سعيد بهذا اللقاء ولكم أنا سعيد بهذه الدرر أتلوها أرددها أتعشقها معبرة عن ذاتي من ثم بعثت بها بعد إذنك لمن أحب وأهوى..........

تجدني بين همس الابتسام ورنين الكلم أترنح طرباً. لكم أحببت هذه التوهجات والرؤى ممزوجة بتاريخ الأصول التليد ومفعمة برسالة الدين القويم خالي أمراض العصرنة والعنصرية وإرهاب القوم. زادك ربي علماً ومجداً ولبلادك وتربها وترابها وأترابها عشقاً وكلفاً وحنيناً ليتني أخذت عنك حلاوة اللسان وقوة البيان وعن آل مادبو جمال الدبلوماسية ....

مش أعجبتني وبس حبيت أشارك بيها العالم كل العالم مشروع طيب صالح جديد وأنت عارفني ما بعرف أجامل.

بروفيسور/ عصام محمد عبدالماجد

(الايميل)

"نفحات الدرت"، هي ضوء كشاف يكشف عن أحوالنا وأطوارنا، في يومياتنا الخشنة وقسوة مآلاتنا، لكنها -أيضا- تنثر فينا ضوء المستقبل ولو بشكل خافت، لو قدر لها أن تكون في الاستزادة الرحيمة مع أخواتها فستكون، حتماً، من الإشارات النابهات في حياتنا فتعطينا زاداً وأملاً و... عنفوان نحتاجه الآن لكي نكون في رفقة الوطن

وشعبنا، وعسانا نكون في صالح أعمالنا حين تزهر فينا فضائل الحياة وآمالها فنحيا الحياة بشرف ونبالة، و... ستكون مثلما "ثورة الوسط" تفكرات عميقة في أحوال الوطن وشعوبنا التي تكاد تذهب بها عصابات الفئة الباغية والعسكر! بوركت أيها الإنسان الجميل، ويااا أيها الوليد سلاااااام !

جابر حسين

(الايميل)

شكرا دكتور الوليد لما سطرته عن الملك رحمة الله وقرأت لك ما كتبت عن محمود عبد العزيز وقبلها تلك المقالات الفكرية العميقة.أهنئك على الكتاب وهذا الفتح الفكري المتواصل الذي تتحفنا به وسأتصل بك للتسجيل للبرنامج عن الملك العظيم الراحل تحياتي لك وللأسرة.

صلاح شعيب

(الايميل)

الصمدية ..... قصيدة من أروع ما قرأت في التوحيد.

عالم عباس محمد نور

(شفاهة)

والله أنت تملك مقدرات فكرية وأدبية هائلة بالإضافة لالتزام وطني وخلقي. أرجو ألا تغير إمكانياتك.

الفاتح

(الراكوبة)

كلام جميل ورصين ملئ بالحكم والعبر متعك الله بالصحة والعافية إنها فعلا بركات الدرت.

عبدالله ادم محمد

(الراكوبة)

وليد مفاجأتك لاتنتهي.. حفظك الله ذخراً لهذا البلد وأتمنى من الله العلي القدير أن يرفع بك أمتنا من براثن الانحطاط ويسمو بها إلى سماوات الوطنية وكان الله في عون السودان الوطن الواحد ما قد كان وما سيكون.

جنابو

(الراكوبة)

يا أبو أواب: حياك الغمام،، كلنا نعيش كلماتك الطيبات ونكتوى بمعانيها صباح ومساء، رد الله للوطن غربته وأزال عنه كل ملتحٍ وملتاح!

الشاكوش

(الراكوبة)

التحية لك أيها الرائع الذي لامست كتاباته جسد الإبداع ومحراب الحكمة.

أبو الفضل

(الراكوبة)

د. وليد لك حبي وتقديري عندما أقرأ كتاباتك يأتيني إحساس بأنى في وطن عظيم وفيه من العلماء والمبدعين لو أحسن الاختيار لكنا من الدول المتمدنة ولكن الواقع عندما نرى استعمار الكيزان للوطن الجميل والتشويه الحاصل في الأخلاق، المثل، القيم، النسيج الاجتماعي والدين. أرجو منك وأكرر رجائي أنت وكل المبدعين أن تكتبوا فكتابتكم هي إن شاء الله التي تعيد لنا وطننا المنهوب بكل ما فيه من قيم ودين. تحياتي للمبدع المتمسك بالوطن أبو عركي البخيت وكل شرفاء بلادي.

كركور

(الراكوبة)

الله عليك يادكتور وليد يا ود العز يا أب عيناً مليانه. قطعة أدبية فخيمة وعظيمة ودسمة وحلوة. امتعتنا بحبك لوطنك وأهل بلدك. وبالبلدي نقول (الله يعزك).

المشتهى السخينه

(الراكوبة)

سبحان الله... ما كنت أتخيل أنك ذات الأديب الأريب.. فصورتك كانت مشوهة في خيالي، وفجأة اكتشفت أنك فارس ابن فارس، وأنك مثقف وأديب تنحني له القامات السامقات. قرأت لك قبل قليل (نفحات الدرت)، فتيقنت أنك عبقري الخيال.

علاء الدين زين العابدين

(الايميل)

شكري لك يادكتور الوليد على هذه الصورة الرائعة التي تنم عن ذوق رفيع وخفة روح جميلة تنعش الفرد منا وتعود به إلى زمن جميل يحملنا بين طياته ويبعدنا عن رتابة العمل وروتينه، هذا إن دل على شيء إنما يدل على إيمانكم وتعودكم على السمو الأخلاقي والذوق الرفيع وهذا لا غرو فيه من خلال تربيتكم حتى أصبحت تجري في عروقكم. رفقت بالروح وسموت بها بعبق أصيل ما أحوجنا إليه في هذه الأيام نسأل الله أن يجزيك عنا كل خير. ولك جزيل الشكر والامتنان.

مهدي الشيخ بانقا

(الراكوبة)

كلما أكملت نفحة من نفحاته طلبت الاستزادة ولعمري فقد تفوق الوليد مادبو على نفسه وعلى النمط التقليدي الذي نعرفه من الكتابة، نفحات الدرت للدكتور الوليد أعادتني لأيام خلت وأنا في ميعة الصبا وقد دلني خالي الأزهري علي مقامات الحريري والهمذاني والمقامة هي حكاية تقال في مقام معين وتشتمل على الكثير من درر اللغة وفرائد الأدب والحكم والأمثال النادرة. والوليد في نفحاته قد خرج عن المألوف فقد احتوت مقاماته، أعني نفحاته، على الحكم والدرر ولكنه أضاف تلك النكهة والبضاعة المحلية أي السودانية فجاءت في قالب لا يخلو من سخرية واجترار لواقع مرير يضحك تارة ويبكيك أخري. وإني وإن أعجبني الاسم نفحات الدرت إلا أنني أسميتها مقامات الوليد وادعوه للمزيد وأغبطه على ما أنعم عليه من سبق وفضل في البيان والتبيان.

عادل سالم

(الايميل)

الابن العزيز الوليد... تحياتي، تأملت الغلاف الرائع الذي رأى النور أخيراً وخطر ببالي إنه يمثل أن السودان وقد سقط في مستنقع سحيق فإنك وأمثالك من الشرفاء - أمثال الفراشات - جاهدين لانتشاله من تلك الهوة السحيقة. آمل أن يكون ما فكرت فيه صحيحاً. أخيراً يهمنا أن نرى كتاب الحوكمة قريباً مع خالص تحياتي.

جمال علي سعيد صبره

(الايميل)

يفاجئنا الوليد بمهمازه الجريء في مدخل بحثه الشجاع عن الجنسانية الذي جاء مرافقاً لمشروع الهوس الديني في البلدان الاسلامية، وما إذا كان هذا العنت في تخيل"طهرانية" خارج واقع طبيعة الإنسان وما يفرض من قوانين يستنها خيال بشر بتفسير لكتاب الله من وحي ثقافتهم وفهمهم المحدود ويسمونه شرع الله قد ضيق الخناق على الفطرة السوية وجعل الناتج في الجرائم الجنسية لا تحصى ولا تعد.

أدعوكم لقراءة المقامات الجريئة لشاب أتوسم أن يكون إضافة جادة في دفتر البحث الثقافي والأكاديمي السوداني يوم تنقشع سحابة داكنة حجبت الرؤية الصحيحة في بلادنا لكل شيء جميل.

فضيلي جمّاع

(الفيسبوك)

لن يضيع الوطن طالما بين جنبيه عقل وقلب وضمير الوليد ..

محمد عصمت

(الفيسبوك)

شكرا د. وليد.. عندما يلامس الكاتب عقل القارئى كانما فتح كل طاقات العالم ليدخل منها ضوء المعرفه لتلك العقول التى غيبتها الخرافه. وعندما يتطرق بعمق وتحليل صادق للمسكوت عنه فقد بنى لنفسه قصراً فى عقول القراء، بهذا يمكن وبقليل من الجهد ان نهزم كل التابوهات لبناء حاضر حر من كل قيود الخداع والزيف الثقافي. كتاباتك تسمو بذائقة القارئ و تعيد له ذلك الود المفقود بينه وبين المثقف معاد الانتاج. شكراً لجهدك اللامحدود وأنت تصارع بفكرك ووعيك انظمه الزيف والتضليل.

خلف اللّه حسين

(الفيسبوك)

نفحات الدرت بعمق زواياها الحادة والمنفرجة ومن خلال معانيها الرامزة وفلسفتها الأخلاقية كاملة الأضلاع، لوحة بهية الألوان باهرة المعاني متكأ للمتعبين من رهق الطريق و ملاذ الباحثين عن الحقيقة .. للّه درك أبا النعمان وأنت تنثر هذه المعاني الملهمة.

محمد عبداللطيف هارون شيخ طويل

(واتسب)

التحية لك الأخ العزيز د. الوليد على هذه الروائع الفكرية المتتالية. عظم اللّه أجرك وعظم سبحانه انتفاع سوداننا الحبيب بثمرات جهدك القاصد الغيور. نحمد اللّه أن للسودان فيكم أخي العزيز مهندساً مفكراً شرع فعلا في إعداد رسم ايضاحي لبناء عصري مواكب يستحقه أهلنا تؤسسه على منصة أساسها المتين هو عبقرية وعطاء

أهلنا الكرام ولبناته ما حباهم الله به من موارد و مواهب. حمى الله الإسلام والمؤمنين وحفظكم وصلى سبحانه على خير خلقه إمام رسله سيدنا وقدوتنا وحبيبنا محمد وعلى اخوانه وآله وصحبه و سلم تسليما.

سامي مصطفى

(الفيسبوك)

لقد أنجزت وأجدت مرآة من مفردات وحروف عكست الماضي والحاضر والمستقبل بوضوح جلي. شكراً ودمت ذخراً لأهلك ووطنك.

عبدالخالق طه

(الفيسبوك)

شكراً جزيلاً علي الكلمات الجميلة الوافية الراقية الواعية الرائعة حد الدهشة.. شكراً جزيلاً د.الوليد علي النظرة الإنسانية السامية والتحليل الواعي والهادف لما نحن عليه الآن.

عبدالله سولارا

(الفيسبوك)

لا مجال لمراوغة الفكرة التي تستدرج من يهواها إلى مجاهل النفس لتخرج كنوزها من عتمتها، من عتمة اللاوعيٍ وهي تطرق على جداره لينهمر نور ونار تغري بالتأمل في كل كلمة كُتبت، فكيف يكون شأن وطن يتردى وغربة تتبدى وما طعم الدرت؟

لغة هذه التأملات ساحرة، لغة شاعرية وتشرق بنورها في العقل وتفتح مساريب للفكرة وتطلق أفراسها في فيافي البحث. كل مقطع أقرب إلى

مقطوعة موسيقية تخاطب الروح وفي نفس الوقت لا تدعك وحالك، بل تفتح (سحارات) ماضيك وحاضرك وتستشرف بك نحو الغد. أسميها (درت) الوعي الخلاق.

د. إشراقة مصطفى حامد

(الايميل)

الوليد .. كتابتك .. موغلة في شعورك الغريب بشأن وطنك. فلا أنت قادر عن التوقف عن عشقه ولا أنت تستطيع عدم كره ما به من خمول ذهني وقذارة أخلاقية وتعدي على المنطق وتهافت أشباه المثقفين. سطورك خطوط محبط يرفض الاستسلام ولم يبق له سوى مداد وريشة وطريق يؤدي إلى باب الخروج بلا عودة، ولكن قلبك سيظل حبيس الوطن المُر الذي يخنقنا بحبه.

من واقع خبرتي وتخصصي فإني أبشرك بأن الترجمة المحكمة ستنقل هذا السفر الي آفاق عالمية رحيبة، بيد أنني اتساءل: كيف بالله عليك ستترجم هذا الكم من الغيظ المثلج (فالثلج يحرق أيضا) إلى لغة أجنبية باردة لا يأبه أهلها بنا إن حيينا أو قضينا؟ أستكتب لهم مقدمة أطول من كتابك عمن نحن؟ مقدمة دفاعنا عن حقك في أن تكون سيداً وقومك كما قلت أغلبه طلق الأمل بالثلاثة متلحفا قتلى وجرحى وأطفال بلا طعام لأبدانهم وأذهانهم؟ لا أرى كيف لنا أن ننقلك من قلب غرب السودان، إلى قلب لندن وواشنطن وسيدني.. إنها لمهمة صعبة تكاد أن تلامس الاستحالة.

سام بيرنر

(الايميل)

الدكتور الوليد مادبو شخص قل ما تجد أمثاله بالسودان، شخصية لها حب جم وسط الشباب وله كاريزما مستنداً أكثر على فكره وثقافته العريقة دونما الاتكاء على تاريخ الآباء والجدود الناصع... ربنا يوفقك دوماً فكتاباتك واضحة وجريئة وتسمى الأشياء بأسمائها.

يوسف فضل

(الفيسبوك)

استمتعت جداً بقراءة هذه النفحات.. الوليد مادبو مثقف سوداني رفيع ومجتهد ما انفك يثري ساحة الحوار والجدل في السودان بمقالاته وكتبه وأحاديثه القيمة. أعتقد أن الوليد يمتلك الاستقامة والمعرفة والشجاعة الكافية لتمكنه من المساهمة بقدر كبير في التأسيس لسودان المستقبل الناهض.

محمد عثمان إبراهيم

(الفيسبوك)

كم كانت الفكرة ناضجة.. أيقنت من خلال النفحات أن هناك إشارات وحب كبير لدارفور وأهلها لكن بفهم مختلف. فهناك حب للكل دون تحيز لعرق أو إثنية وأحسست حبك للغرب الكبير من ثنايا السفر الرائع، ومن حبك إلى الوطن الأكبر السودان. هذا التتابع نفحة تلو الأخرى حتى بلغن ال ٣٦٦ قد امتعني وكان بمثابة إضافة ثرة إلى حصيلتي المعرفية، وددت أنك لم تتوقف فلك الشكر أجزله إذ منحتنا نفحة عن كل يوم في العام.

صلاح خاطر
(الفيسبوك)

لك خالص التحايا يا دكتور ... فانت قدوتنا واحد عظماء أمتنا ... لقد تجاوزت بالنفحات الكثير من العقبات والإشكالات؛ أعظم بك من كاتب كرس جل وقته لنشر الوعي والاستنارة.

حسن علي محمود

(الفيسبوك)

أسعد عندما يناديني الوليد (بعم أحمد)؛ في مقالاته الأولى التي دفع بها للنشر في عدد الأسبوعي بصحيفة (السوداني) – استشرفت ميلاد كاتب ومفكر كبير – ولكني اختلفت معه في بداياته التي لم تخلو من عنف لفظي لا يتلاءم مع الوليد الذي عرفته عميقاً في فكره مهذباً في طبعه ومتديناً بلا رياء.

لم يخذلني وهو يرتقي سلم الكتابة، خاصة في (نفحاته) التي أرى فيها فتحاً جديداً في الكتابة التي تجمع بين الآداب والغوص في الإنسانية والسودانوية – جريئاً وعفيفاً .... عميقاً وبسيطاً ... مازجاً بين التشكيل والتعبير دون أن تستعصي عليه الحروف أو تجرفه الشخبطات. ليتكم شاهدتموه وهو (لازم الجابرة) بين عشيرته في حوش الناظر (مادبو) في (الضعين)!

الجنرال أحمد طه

(الواتسب)

بين الفقه والفلسفة اختار الوليد الرحاب (الوسيعة) واستولد من لغة الريف وأساليبها لغة وأساليباً تصاهرها مصاهرة طارفة وتالدة مع أمها الأصل، فكانت لغته أمدرمانية من الضعين وظاعنة في أم درمان.

في نفحاته هموم الأهل من كل منحدر، وآلام الطرف من كل صوب، وآمال الإنسانية من كل حدب. هذه النفحات تقبض على لحظات التجلي وتشع كما تشع النباهة من عيني ود مادبو. في نفحات الدرت تجد المرأة - حمدة - في أعلى المراتب تسمو وتسمق فكرة وتتنزل أمّاً وحبيبة تمشي على قدمين، تختار ما تحب وتتمسك به وهي تتنسم تلكم النفحات.

محمد طه القدال

(الايميل)

يا للروعة، يا للصدمة، يا للبهجة .. هذا كتاب ذو طبيعة حيوية وهو قابل للتطبيق الفوري في حياتنا اليومية رغم غرابته. في البداية لم أستطع أن أحدد هل ما أقرأه كتاب آسر في الأنثروبولوجيا أم شعر رائع ثم سرعان ما أدركت أنه يسرد دروس وتجارب حياتية بسيطة بأسلوب شجاع وقوي يسمح لك أن تأخذ منه ما تريد ويعطي لك الحرية لتكوين رؤياك الخاصة. أرى أن هذا الكتاب عميق جدًا ذو جذور ثقافية راسخة كما نتوقع دائمًا من مولاي الوليد، فمن غيره؟

معاوية مادبو

(الايميل)

حكواتي ساحر لا تمل من سماعه يحكي القصص كما الهداي والغناي بأبسط الكلمات وأجمل المعاني .. جمالي وتربوي وسياسي وفنان ذو ثقافة موسوعية وحافظ للتراث؛ سليل الحكماء الذين تتفيؤا ظلالهم أشجار المودة ليحكموا بين الناس بالعدل ويواسوا بينهم بالمحبة.

لا عجب أن قد تسللت النفحات من هذا الوعاء الذي شمل بصيرة البسطاء وتشرب عمق أرباب الفهم والحكمة.

محمد السني دفع الله

(الواتسب)

ظللت أتابع ما يكتب الوليد من موضوعات فلسفية شيّقة عبر الأثير الإسفيري.... وقد خصّني مؤخراً بإرسال مسودة كتاب باسم.. نفحات الدَّرت.. وقد بهرتني أول ما بهرتني فكرة البناء المُتفرِّد لمحتويات الكتاب فهو عبارة عن مجموعة موضوعات مختصرة يلمس كلّ موضوع لمساً مختصراً ثم يذهب لآخر ليسكب فيه عصارة رأي فكري مدهش.. ولا يُخفى على القارئ الحصيف مَلكة الكاتب المذهلة في المزاوجة بين التقليدي والحديث وملكته المدهشة في الجرأة على إماطة رداء المسكوت عنه دون خدش للحياء.. ومَلكته في التنقل مثل الفراش من علم الفلسفة لعلم الفكر الاجتماعي ثم للأدب الشعبي والمورث. ما أكثر الذين يكتبون وما أقل الذين يخاطبون العقل والروح!

كامل عبدالماجد

(واتسب)

ليتك تعرف ما تفعله كلماتك بأرواحنا قبل أجسادنا، نحن معشر النساء!

سيدة سودانية نابهة

(الايميل)

فهرس المعاني

الحُتّرب: الثمالة

الكنيف: بيت الأدب

ادردرت: شقيت

ألوت: ملتوي الهيئة

أم دورور: سوق موسمية

البدل: أبدل شخصا آخر (جان ولد من رحم إنسية)

بوردير: ماخور

تتفدع: تنثني نحو الخلف

تعسم: من عسم، ما يمسك المفاصل من فتور وإعياء، لا سيما الظهر.

تُقَبِّقِب: تأخذ بالتلابيب

تلعسم: تردد

الحميضاية: تصغير لشجرة الحِمِيض الذي يشبه ثمره ثمار التين

الداية: الولادة

رغا البطال: النسل المنحدر من بيت الخُسْر (اي الخسارة)

رغا الجفا: النسل المنحدر من بيت القطيعة (قطيعة الرحم)

السُراى: الذين يسرون ليلاً (أي يقيمون الليل)

السندالة: ما يتخذه الحدَّاد لصك السكاكين والفؤوس

سياد الشرك: الذين يشركون للصيد الكبير (بمعنى أصحاب الرأي)

سياد النقارة: أهل الملك

شنوا الجابك: ما الذي جاء بك؟

العوق: الفارس

العوقة: العوير

عووووك: لفظ يستخدم للمناداة البعيدة

غُرْغَاب: تنورة سابلة

فَزَرَة: انثناءة إلى الخلف

فِسِية حدية: نعال تقليدي أشبه بذنب الطائر
فنَاديك: جمع فندوك وهو الكفل، العجيرة أو المؤخرة
قداديم: مناقير
قطيعة: مراحه وأبقاره
قلد: عانق
كابي وحجاي: ملجأي ومتفرعي
كتلك: قتلك
كرفة: شمة
كَلْتَان: فقران فقر مدقع
كوز(ي): خص(ي)
لعالع: علعل، شيء متدلي أعلى عنق الديك والمقصود بها هنا دبابير الجيش
متاليب: صغار البقر
مسداري: رحلتي وممشاي
مَسِيداً: مسجداً
مُلتاح: متحرق
المُنَمِّل: مُخَدَّر، فكأنما يمر النمل دون أن يحس به
التقاوت: من القوت بمعنى التكافل
النشاب: القوس بسهمه
العيين : النساء
هنبريب: الهبوب، الدعاش، النسيم العليل
وريني: ارني
يا هووي: يا هو
يايما: يا أمي
يدحرنا: يمنعنا
يرمل: رسم جدولاً على الرمل في شكل نقاط يستخدمها العرافون لمعرفة الطالع
يقلد: يمشي بتؤدة وخيلاء
يلعلع: يهرج (من هرج الرعد)، أو يعلي بصوته



تعريف بالذات الأدبية والفكرية

يحسب للمؤلف أنه من أوائل الذين سعوا لتسييل المعرفة الأكاديمية وتمليك قضاياها وموضوعاتها لعامة الناس عبر تحرير الحوار من الصفوية وإقامة الشراكة والتعارف بين العقول على اختلاف معارفها ودرجاتها، وذلك بتناوله لقضايا حيوية وجوهرية مثل الجنسانية والحكمانية، إلى آخره من الموضوعات، التي تعتبر جديدة من حيث الطرح والتوصيف. ذلك أن نقل مثل هذه المفاهيم من سوح الأكاديمية ومدرجات التلقين العلمي يعتبر من أهم متطلبات الدخول السليم للمستقبل، ومن أهم

شروط البناء الجماعي لمناخ اللا تهميش والقرب من الحقيقة والحق والعدل والمعافاة، والشرط الأهم لترسيخ معنى أن نكون أخلاقيين (عبدالله الفكي البشير، تصدير كتاب ثورة الوسط: أعالي أشواق الإنسان المهدور، مدارك ٢٠١٢).

"فالوليد من أولئك الذين لا تنقصهم الشجاعة العقلية والفراسة الروحية، والدربة والدراية بشؤون الناس والحكم في السودان، ولا تنقصهم الحاسة النقدية لإرث السودان السياسي والفكري فجاءوا برؤية عابرة للمدارس الفكرية والسياسية، بيد أن الواقع في السودان، لأمر غير مبرر، درج على تحجيم الشباب المخلصين المتمكنين في علومهم ومعارفهم ومهاراتهم وقدراتهم. فكثير من الشباب في السودان، وهم أبناء بيئات ومجتمعات التنوع والتعدد الثقافي، المفطورة على العبقرية، يحملون سمات العبقرية في القيادة والإبداع وفي الالتزام تجاه الناس والوطن والإنسان، غير أنهم لم يجدوا فرصتهم ليكونوا في مواقع العطاء والتعبير. برغم ذلك ظل الوليد مادبو يقوم بأدوار كبيرة وعديدة بين أهله وعشيرته في دارفور وفي سوح المثقفين ومن أجل السودان والإنسان" (نفس المصدر). كما ظل الوليد يساهم في تقديم الخدمة التنويرية من خلال تنظيمه لمنتدي الوليد، قائداً للمواجهة والنقد العلمي في سوح الفقهاء الذي ألقت عليه الحداثة بظلالها دون أن تستحثه للتثاقف، إنما التشاكل الذي عقد سيرورة العمل الدعوي في الفترة العصيبة التي عاشها الوليد بعد سبتمبر ١١ وهو حينها كان طالباً بالولايات المتحدة يتطوع لإمامة التراويح طيلة فترة التحضير التي دامت ٧ سنوات (كانت جامعة هارفرد أولى محطاته إذ دعي للصلاة بالطلبة المسلمين في عام ١٩٩٧ وقد

كانوا من قبل ينتدبون من يستحسنون قرأته من المصحف ولا يجدون من تجود حفيظته بالكلم الطيب)، وخطيباً حداثياً أعانه حفظه للقرآن وتخصصه في العلوم الاجتماعية (في تلكم اللحظة التاريخية الحرجة) علي تفهم أن صدام الحضارات ليس مصدر العنف، كما يقول أوليفييه روا، بل العنف مصدره تقهقر الهوية الثقافية. فالمشكلة عنده تنجم عن انقطاع تناسق الحركة وضمور أفق المعاني، مما يتسبب في طلاق بين الثقافي والديني يكون إحدى تداعياته فقدان الديني لمرساه الثقافي وتناسي الثقافة لمصادرها الدينية وتجاهلها لكل معرفة دنيوية بالديني (الجهل المقدس، دار الساقي ٢٠١٢).

مر الوليد مادبو بتجارب حياتية ومعرفية متنوعة. فقد تخرج الوليد من قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة بجامعة الخرطوم (١٩٨٩م) سافر بعدها في طلب الدراسة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فنال الماجستير الأول في علم المنشآت من معهد إلينوى بشيكاغو (١٩٩٢م)، والماجستير الثاني ودرجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة فلوريدا (٢٠٠٥م). بدأ الوليد حياته العملية بعد الدكتوراه في مجال الحوكمة، فأصبح خبيراً في مجال التحديث والتطوير المؤسسي ومستشارا للتنمية العالمية. جاء الوليد مندفعاً للعمل في السودان بحماسة الشباب وحب الوطن وشعوبه، وهو يحمل المعرفة والخبرة والدربة في الأكاديميا الغربية. كان قد تشرب الحداثة وفكرها، وتابع أطروحات فكر ما بعد الحداثة وهو لا يزال، طالباً يدرس الدكتوراة بولاية فلوريدا. أنشأ في الخرطوم «وكالة تطوير الحكم والإدارة»، وهي جمعية طوعية معنية بأمر الحكمانية، ليساهم عبرها في التنمية وترسيخ الأسس العلمية في مختلف مجالات البناء الوطني- قاعدياً

بتنظيم المهرجانات الثقافية واستيراد خيول من فلوريدا لمساعدة المواطنين في تحسن نسل خيولهم ومؤسسياً بتأهيل الكوادر الوسيطة في مجالات الحوكمة المختلفة، فما لبث أن واجهته الخرطوم «المدينة الآثمة» كما سماها، بقبحها، فأخرجت له أثقالها فضاق ذرعاً بها وبالأحوال وبالأوضاع فيها. رفض التشيؤ فقرر الهجرة إلى الدوحة (نفس المصدر).

وإذ تسعى لمؤاساته إحدى النابهات فإنها تذكره بأن قلبه سيظل حبيس الوطن رغم الاغتراب، بيد أنها ترجع فتهنئه إذ رأت أن الهواجس التي تؤرقها وتؤرقه قد وجدت سبيلها للخروج في سفر يحكي معاناة جميع المثقفين، خاصة الإنسانويين، الذين يعيشون غرباء داخل وخارج أوطانهم. لعل الانكماش قد نجح كاستراتيجية أفضل من التشيؤ. فقد سكب المؤلف ذاته في كتاباته عن بلده، وكتب عنها بقلبه وعقله، مستصحباً إرثه وطفولته وذكرياته فيها، ومدفقاً دموعه وإنسانيته وهو يتحدث عن الحرب فيها بحزن وأسى، وكيف أنها أصبحت ساحة لتصفية الحسابات وميداناً للصراعات الدولية. بيد أنه ظل مستمسكاً بالعروة الوثقى ومستدفعاً بالأسئلة الكبرى التي تهم الناس وتتصل بمسار التنمية البشرية في الراهن والمستقبل. أهمها سؤال الأخلاق الذي ظل هو الناظم والمشترك لموضوعات النفحات، بل هو المرتكز الأساسي والمحط الموضوعي لمآلات التفكر في الجسد والروح والجمال والثقافة والحكم والشريعة والدستور والضمير. بهذا يكون الوليد قد عبر بحق عن رؤية الجيل الجديد بما يشبه الوحدة الشعورية والوجدانية ووحدة الموقف من حقوق الإنسان، وتجلي الحس العدلي في أطروحاته الفكرية والأدبية.

الشاهد أن النمو المعرفي والفكري قد ظهر جلياً في مسار الوليد وفي كتاباته، ففي عام ٢٠١٣م، نشر المؤلف كتاباً بعنوان: «ثورة الوسط» وها هو الآن يعد لمراجعته، تصنيفه وإعادة نشره في مجلدين مختلفين بالعناوين الآتية: ناقة فني وتحرير الإنسان المقهور. يبدو لي أن الوليد فوق التدريب الأهلي (إذ ظل مرتبطاً ببيئته وحفياً بأسرته ذائعة الصيت من خلال دورها في توظيف وتطوير الإرث المحلي في ترسيخ معاني الدولة وإرشاد المجتمع زهاء السبعة قرون)، وفوق الاستماع لقضايا الناس ودفوعاتهم (حضور مجالس الجودية التي يديرها زعماء الإدارة الأهلية)، وفوق التدريب الأكاديمي في السودان وفي جامعات الغرب التي ظل مرتبطاً بها ومتعاوناً مع أساتذتها بحثياً وميدانياً، فوق كل هذا، يبدو لي أن الوليد قد خضع في أسرته الصغيرة لنظام تربوي خاص جعله يصب جل اهتمامه ويبذل قصاري جهده للتفكر في حياة الناس، تلك التي اتسمت مؤخراً بعدم الاستقرار النفسي والمادي.

بطرحه لسؤال الأخلاق واعتماده رؤى فلسفية متجددة، يكون المؤلف قد اتسق مع ذاته ومع الراهن الذي يخضع لمعايير متعددة. فسؤال الأخلاق الذي دفع به المؤلف في سفره هذا، سؤال حقبة ما بعد الحداثة ولذا فهو ما زال وسيظل في مرحلة البحث والتنظير والتنامي والاتساع والتبلور. إن تحقيق النهضة القومية منوط بالنجاح في تحقيق الفدرالية السياسية والاقتصادية والثقافية، متى ما تخرج جيل من الفلاسفة والمفكرين فإنه سيستطيع كتابة التاريخ من منظور أقنى وأغنى يفند حيل الاحتواء الماجن للثقافة والإنسان.

رقم الإيداع: 2016/1172